

T.C.
FIRAT ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ BİLİM DALI
KELAM BİLİM DALI



KUR'AN İLE MEYDAN OKUMA

YÜKSEK LİSANS TEZİ

DANIŞMAN
Prof.Dr. Erkan YAR

HAZIRLAYAN
Mohammed Sedeeq Jaafer SEDEEQ

ELAZIĞ - 2019

الجمهورية التركية
جامعة الفرات
معهد العلوم الاجتماعية
العلوم الإسلامية الأصلية
قسم علم الكلام

التحدي بالقرآن الكريم

رسالة الماجستير

المشرف

أ. د. أركان يار

Prof. Dr. Erkan YAR

الباحث

محمد صديق جعفر صديق

Mohammed Sedeeq Jaafar

T.C.
FIRAT ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ BİLİM DALI
KELAM BİLİM DALI

التحدي بالقرآن الكريم

ETTEHADDI BIL-KUR'ANIL KERIM

YUKSEK LİSANS TEZİ

DANIŞMAN

Prof. Dr. Erkan YAR

HAZIRLAYAN

Mohammed Sedeeq Jaafer SEDEEQ

Jürimiz, / /2019 tarihinde yapılan tez savunma sınavı sonunda bu yüksek lisans tezini oy birliği ile başarılı bulmuştur.

Jüri Üyeleri:

1. Prof. Dr. Erkan YAR (Danışman)

2.

3.

Fırat Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Yönetim Kurulunun
..... tarih ve sayılı kararıyla bu tezin kabulü onaylanmıştır

ÖZET

Yüksek Lisans Tezi

Kur'an İle Meydan Okuma

Mohammed Sedeeq Jaafer SEDEEQ

Fırat Üniversitesi

Sosyal Bilimler Enstitüsü

Temel İslam Bilimleri (Kelam)

Elaziğ-2019, Page: VI +63

Kur'anı Kerim'in meydan okuması, onun bir benzerini getirme konusunda inkarcıların acziyetini ortaya koymayı ve Hz. Muhammed'in peygamberliğini isbat etmeyi amaçlamaktadır. Kur'ân-ı Kerim beşer kelamı değil Allah'ın sözüdür. İnsanları şirke ve putlara ibadet etmeye çağıran bir topluluk bu dine itiraz etmiştir. İslam, bu bozuk akideyi düzeltmek ve insanlara hem dünya hem de ahiret mutluluğunun yolunu göstermek için yüce bir doktrin getirmiştir. İslam düşmanları günümüzde de insanları bu dinden uzaklaştırmak için Kur'ân hakkında yersiz inanç ve şüpheleri yaymaya devam etmektedirler. Kur'ân'ın meydan okuması bu şüpheleri ortadan kaldırmanın en kolay yoludur.

Bu çalışma, Kur'ân'ın meydan okuması ve ona dair tartışmalara ilişkin bazı konuları analitik bir metotla araştırmaktadır. Bu konulardan bazıları, meydan okumanın aşamaları, meydan okumanın ulaştığı derece, sarfe teorisi, Kur'ân'da bahsi geçen gaybi haberler ve meydan okumanın hususi yönüdür. Çalışmanın sonunda araştırmanın en önemli sonuçları zikredilmiştir.

Anahtar Kelimeler: Kelam ilmi, Meydan okuma, Sarfe, Fesahat, Belâgat.

ABTRACT

Master Thesis

The Challenging with Qur'an

Mohammed Sedeeq Jaafer SEDEEQ

Firat University

Institute of Social Sciences

Department of Basic Islamic Sciences

Kalam Sciences

Elaziğ-2019, Page: VI +63

The challenge of the Holy Quran is asking for the same of the Holy Quran to the purpose of denying the deniers to prove them the prophecy of our Prophet Muhammad, (peace be upon him). Also to prove that the holy Quran is the word of Allah and it's not the words of humans. Some people stand against the religions who were calling to polytheism and worship idols. Islam came with its lofty roles to reform these corrupt doctrines and guide people to what is good for this world and the hereafter. The enemies of Islam are still spreading suspicions and illusions about the holy Quran to keep people away from this religion. The challenge of the Holy Quran was the easiest way to push these suspicions.

This research looks at some of the issues which related to the subject of the challenge and discussed by studying and analyzing them. Also included the stages of the challenge and the extent to which the challenge occurred and the theory of Al-Surfa, metaphysical news contained in the Holy Quran especially challenge. Then concluded the most important conclusions derived from this research.

Key Words: Speech science, Challenge, Al-Surfa, Eloquence, Rhetoric.

الملخص
رسالة ماجستير
التحدي بالقرآن الكريم
محمد صديق جعفر صديق
جامعة الفرات
معهد العلوم الإجتماعية
قسم العلوم الإسلامية
الكلام

Elaziğ-2019, Page: VI +63

إن التحدي بالقرآن الكريم هو طلب الإتيان بمثل القرآن الكريم لتعجيز المنكرين. وإثبات النبوة لسيدنا محمد ﷺ. و أن القرآن الكريم كلام الله تعالى وليس بكلام البشر. وقد اعترض على هذا الدين قوم كانوا يدعون الناس الى الشرك وعبادة الاوثان. وجاء الاسلام بتعاليمه السامية لإصلاح هذه العقائد الفاسدة وارشاد الناس الى ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة. وما زال اعداء الاسلام يبتئون الشكوك والأوهام حول القرآن الكريم ليعبدوا الناس عن هذا الدين فكان التحدي بالقرآن الكريم أسهل وسيلة لدفع هذه الشبهات.

وان هذه الرسالة تبحث عن بعض المسائل المتعلقة بموضوع التحدي ومناقشتها دراسة وتحليلاً. ومن تلك المسائل مراحل التحدي والقدر الذي وقع به التحدي ونظرية الصرفة والاعبار الغيبية الواردة في القرآن الكريم والوجه المخصوص بالتحدي ثم ختمت بأهم النتائج المستنتجة من هذه الرسالة.

الكلمات المفتاحية: علم الكلام، التحدي، الصرفة، الفصاحة، البلاغة.

المحتويات

II.....	ÖZET
III	ABTRACT
IV	الملخص
V.....	المحتويات
1.....	المقدمة
4.....	مشكلة البحث

الفصل الاول

5.....	1.التحدي
5.....	1.1. التحدي لغة:
6.....	2.1. التحدي اصطلاحا:
6.....	3.1. لفظ ذات صلة :
7.....	4.1. أهمية التحدي:
8.....	5.1. أهم المؤلفين في التحدي:

الفصل الثاني

17.....	2. مراحل التحدي
17.....	1.2. مراحل التحدي بالقرآن الكريم.
22.....	2.2. القدر الذي وقع به التحدي.
25.....	3.2. التحدي كشرط للمعجزة
26.....	4.2. أسماء بعض الذين زعموا النبوة أو اعترض على النبوة.
26.....	1.4.2. أسماء بعض الذين ادعوا النبوة.
28.....	2.4.2. أسماء بعض الذين ادعوا معارضة القرآن

الفصل الثالث

29.....	3. وجوه التحدي عند المتكلمين.
30.....	1.3. نظرية الصرفة
31.....	1.1.3. الصرفة في اللغة:
31.....	2.1.3. الصرفة في الاصطلاح:
31.....	3.1.3. المقصود بالصرفة عند القائلين بها.
32.....	4.1.3. القائلون بالصرفة.
32.....	1.4.1.3. القائلون بالصرفة من المعتزلة:
34.....	2.4.1.3. القائلون بالصرفة من الشيعة.
35.....	3.4.1.3. القائلون بالصرفة من السنة.
39.....	2.3. ومن وجوه التحدي الأخبار الغيبية.

39.....	1.2.3. آراء العلماء في الأمور الغيبية ومناقشتها:
42.....	2.2.3. بعض الأمثلة على الأخبار الغيبية الواردة في القرآن الكريم.
47.....	3.3. ومن وجوه التحدي الجانب البياني
48.....	1.3.3. القائلون بالنظم فقط:
49.....	2.3.3. القائلون بالنظم والمعنى:
53.....	الخاتمة وأهم النتائج
55.....	المصادر والمراجع
62.....	Ek 1. Orijinallik Raporu
63.....	السيرة الذاتية



المقدمة

تعد مسألة التحدي بالقرآن الكريم مسألة قديمة يرجع تأريخها إلى عصر نزوله. ومازال أعداء الإسلام منذ ذلك الحين و إلى يومنا هذا ييئون الشكوك والأوهام حول القرآن الكريم لإبعاد الناس عن هذا الدين. وقد ألف العلماء كتباً كثيرة تبين وجوه القرآن الكريم وعلومه للدفاع عنه ودفع الشبهات والأوهام عنه بما وصل إليه علومهم، فتركوا لنا مكتبة ضخمة من المؤلفات. وإن البحث في هذا الموضوع يحتاج إلى جهد كبير للوقوف على آراء العلماء واستخراجها من ثنايا كتبهم. فموضوع التحدي بالقرآن الكريم مهم جداً بالنسبة للمسلمين وبالأخص العلماء والمثقفين منهم، لأنه يتعلق بالكتاب السماوي الذي أنزل إليهم. فيه ما فرض عليهم وما حرم عليهم وما أباحه لهم وفيه دعوة إلى الناس جميعاً للانقياد لهذا الدين الحنيف. ولذلك أيد الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بالقرآن الكريم وتحدى به المنكرين، لكي يثبت لهم صدق النبي ﷺ وفيه فائدة أخرى وهو تثبيت قلوب الانبياء ومن معهم من المؤمنين ورفع معنوياتهم. وبعد اختلاط المسلمين بغيرهم من المعتنقين للأديان الأخرى تسرب بعض من أفكارهم إلى عقيدة المسلمين. وقد هيا الله سبحانه وتعالى لحفظ كتابه طائفة من العلماء لذب الشكوك والشبهات عنه التي كانت تخطر ببال المسلمين. و هيا آخرين لنشر وتبيين دينه لمن لم تصلهم دعوة الإسلام وإرشادهم إلى إجابة دعوة الله لينالوا السعادة والطمأنينة في الدنيا والفوز برضا الله ونعيم الآخرة. ولكي يكونوا على دراية ويقين في اعتناقهم لهذا الدين الجديد ويزيل ترددهم وشكوكهم أيد الدعاة بالبرهان والدليل على صدقهم فيما يدعون إليه فأيدهم بكتابه حيث تحداهم به ووعدهم بحفظه من أيادي أعداء المعتدين. وجعل كتابه شاملاً لوجوه كثيرة من جمالية نظمه وسهولة تلاوته لا يمل سامعه وأودع فيه من العلوم ما يتناسب مع مستويات جميع الناس في جميع الأزمان. وفيه إشارات إلى كثير من العلوم والتي صدقها العلم فيما بعد فكلما تعلم الإنسان علوماً جديدة وتقدم في أمور لم يكن يعلمها سابقاً وجد في القرآن الكريم إشارات إلى كثير من هذه العلوم ولم تتعارض مع التفسيرات السابقة للعلماء فمثلاً قوله تعالى في سورة القيامة: "بلى قادرين على أن

نسوي بنانه"¹ فقد فسرهما القدماء برأس الأصابع ولكن بدون تفصيل يقول الطبري في تفسيره: " يقول تعالى ذكره: أيعظن ابن آدم أن لن نقدر على جمع عظامه بعد تفرقها، بلى قادرين على أعظم من ذلك، أن نسوي بنانه، وهي أصابع يديه ورجليه"² والعلم الحديث أثبت شيئاً جديداً على ما سبق ولم يلغ التفسير القديم، ففهم الناس مراد الله على قدر ما وصل إليه علمهم في ذلك الحين وهو قدرة الله على إعادة خلق الأنامل مع صغرها ودقتها فقدرته على إعادة العظام الكبيرة أسهل. والتفسير العلمي الحديث لا يختلف معهم بل أضاف توضيحاً أكثر وهو أن بصمات رؤوس أنامل الناس لا تتشابه فلكل شخص شكله الخاص به وهذه البصمات لا ترى بالعين المجردة إلا بالأجهزة الحديثة لدقتها فمع دقتها وعدم تشابه أنامل الناس فالله يعيدها كما كانت فلا تعارض بين التفسيرين. ولا يخفى علينا فقد آمن واهتدى بهذه الآيات والبراهين والعلوم المودعة في القرآن أمم بعد أمم من الناس قديماً وحديثاً، عندما رأوا طريق النور والهدى سلكوه وتركوا الجهل والضلالة فمنهم الرئيس والمرؤوس والعالم والجاهل والرجال والنساء حتى عمت الدنيا بأكملها.

واقترضت طبيعة الموضوع أن أقسم رسالتي الى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، جعلت الفصل الاول فصلاً تمهيدياً ذكرت فيه معنى التحدي في اللغة وفي الاصطلاح وبينت بعده أهمية التحدي ثم ذكرت أشهر المؤلفين في ذلك. وقسمت الفصل الثاني إلى أربعة مباحث ذكرت في المبحث الأول عدد المراحل التي وقع بها التحدي وآراء العلماء في ذلك والوجه الصحيح فيها ثم بينت مسألة التدرج بالتحدي وهل كان من الأعلى إلى الأدنى أو كان بحسب النزول وذكرت في المبحث الثاني القدر الذي وقع به التحدي وهل هو متعلق بجميع القرآن أو بأقصر سورة أو بأقل من السورة، بعدها ذكرت في المبحث الثالث التحدي كشرط للمعجزة وآراء العلماء مبيناً الوجه الصحيح في ذلك، ثم ذكرت في المبحث الرابع بعض الذين ادعوا النبوة كذباً وبعض الذين

¹ سورة القيامة 4/75.

² الطبري ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، (ت. 310 هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق محمد احمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 2000م، 24/50.

اعترضوا على القرآن الكريم ولم يدعوا النبوة. وخصصت الفصل الثالث لوجه التحدي عند المتكلمين وقسمته إلى ثلاثة مباحث، ذكرت في المبحث الأول نظرية الصرفة وبينت آراء العلماء فيه والقائلين بها من الفرق الإسلامية وفي المبحث الثاني آراء العلماء في الأمور الغيبية الواردة في القرآن الكريم وفي المبحث الثالث ذكرت آراء العلماء في الوجه البياني أو ما يسمى عند البعض بالوجه البلاغي ثم ختمت رسالتي بأهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة.



مشكلة البحث

إن أسلوب آيات التحدي مختلفة في كيفية التحدي بها وإن ظاهر معنى بعضها يسبب الإشكال لكثير من الناس ويحدث لهم التناقض بين ما يفهمه من ظاهر الآية مع أقوال بعض العلماء فمثلاً يقول بعض العلماء التحدي وقع بالتدرج في حين يقرأ آية التحدي في سورة يونس الدالة في ظاهرها أن التحدي وقع بسورة واحدة وقد نزلت قبل سورة هود التي وقع التحدي بعشر سور مقتريات وهناك إشكال في مسألة الصرفة ومعناها وهل يؤثر القول بالصرفة على إعجاز القرآن الكريم وكذلك هل التحدي يشمل الأخبار الموجودة في القرآن فعمدت إلى دراسة وتحليل هذه المسائل لإزالة هذه الإشكالات.

الفصل الاول

1. التحدي

1.1. التحدي لغة:

استعملت كلمة التحدي لإثبات عجز المخاطب وإثبات قدرته ومهارته وتفوقه على المتحدى عليه كما قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: " الحديا من التحدي يقال: فلان يتحدى فلانا أي: يباريه وينازعه الغلبة"³ والتحدي طلب المقابلة والمواجهة في أمر ما بأسلوب يوحي بأنه منتصر عليه كما ذكر قاسم بن ثابت⁴. وفي بعض الأحيان تستعمل كلمة التحدي لمن يطلب الشر والعراك وفي هذا المعنى يقول ابن دريد: " الحديا من التحدي وهو التعرض يقال: تحدى فلان لفلان إذا تعرض له للشر"⁵. ويأتي أيضا بمعنى الثبات في المكان وهذا كثيرا ما نراه عند الأطفال ففي بعض الأحيان عندما تطلب منه الذهاب لأمر ما تراه لا يستجيب لك ويبقى في مكانه ويصر على رأيه كما يقول الطالقاني المشهور بالصاحب بن عباد: "حدي فلان بمكانه فهو حد: إذا لزم موضعه فلم يبرح"⁶. ويأتي بمعنى القصد حيث يروي محمد بن أحمد الهروي قول الليث " ومنه قول مجاهد: كنت أتحدى القراء فأقرأ أي أتعمد"⁷. وهو أيضا بمعنى طلب المعارضة على صحة دعواه حيث يقول القاضي عبد النبي عبد الرسول " التحدي:

³ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، الفراهيدي، (ت. 170 هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، 279/3.

⁴ قاسم بن ثابت بن حزم العوفي، السرقسطي، (ت. 302 هـ)، الدلائل في غريب الحديث، تحقيق: محمد بن عبد الله القناص، مكتبة العبيكان، الرياض، ط/ 1، 2001، 703 /2.

⁵ أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد، الأزدي، (ت. 321 هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط/ 1، 1987م، 1272 /3.

⁶ أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد، إسماعيل بن عباد بن العباس، (ت. 385 هـ)، المحيط في اللغة، 244 /1.

⁷ الهروي، محمد بن أحمد، (ت. 370 هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ 1، 2001م، 121 /5 وانظر أيضا: اليمني نشوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، (ت. 573 هـ)، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط : 1، 1999م، 1369 /3.

طلب المعارضة على شاهد دعواه"⁸. ومن المؤلفين في اللغة المعاصرة الدكتور أحمد مختار حيث يقول: "تحد مفرد جمعه تحديات، ما يواجهه من عقبات أو أخطار، التحدي والاستجابة نظرية في فلسفة التاريخ مؤداها أن الحضارة تنشأ عندما يواجه شعب ما تحدياً يهدد كيانه فيواجه هذا التحدي ببذل جهد مضاعف استجابة لحب البقاء"⁹.

2.1. التحدي اصطلاحاً:

يختلف تعريف التحدي اصطلاحاً باختلاف العلم أو الموضوع الذي يتعلق به، لأن لفظ التحدي يستعمل في مجالات كثيرة، ففي موضوع النبوة يمكن أن نعرفه بأنه: طلب الإتيان بمثل القرآن أو شبيهه لتعجيز المنكرين وذلك لإثبات النبوة والرسالة لسيدنا محمد ﷺ وصدقه لما يدعو إليه، فتعجيز المنكرين غير مقصود لذاته إنما المقصود لازمه وهو إثبات أن القرآن كلام الله و أن الذي أتى به هو رسول الله، يقول عبد القاهر الجرجاني: "إن التحدي مطالبة بأن يأتوا بكلام على وصف ... فلا يعقل في عقل عاقل أن يقول لخصم له قد أعجزتك أن تفعل مثلي وهو لا يشير إلى وصف يعلمه في فعله ويراه قد وقع عليه التحدي... ثم إن هذا الوصف ينبغي أن يكون وصفاً قد تجدد بالقرآن وأمر لم يوجد في غيره ولم يعرف قبل نزوله"¹⁰.

3.1. لفظ ذات صلة :

لفظ تشاطر. فكأن الذي يتشاطر ليس أهلاً للتحدي لكنه يتظاهر بذلك كما يرى رينهارت بيتر فيقول: "تشاطر تحدى وحين لقي شخصاً تضايق من مرأة وبدت له فيه نذر الشؤم قام الإخشيد بضربه خمسة عشر سوطاً وحين لم ينبس المسكين بكلمة صاح الإخشيد: هو ذا يتشاطر علي ويقصد إنه يتحداني فقل له إنه كان قد مات"¹¹. وفي

⁸ القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمدي نكري، (ت. 12 هـ)، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون دستور العلماء، دار الكتب العلمية، ط/ 1، 1421 هـ، 1/ 190، وانظر أيضاً: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، 1986 م، ط/ 1، 2003 م، 1/ 52.

⁹ أحمد مختار عبد الحميد عمر، (ت. 1424 هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط/ 1، 2008 م، 1، ص: 461.

¹⁰ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، الجرجاني، (ت. 471 هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط/ 3، 1413 هـ - 1992 م، ص 385.

¹¹ رينهارت بيتر (ت. 1300 هـ)، تكملة المعاجم العربية، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط/ 1، 1979-2000 م، 6/ 309.

نظري أن هذه اللفظة في عصرنا لا تدل على التحدي تماما بل هي إلى معنى الذكاء والمهارة أقرب.

4.1. أهمية التحدي:

إن للتحدي أهمية كبيرة في مجال تبليغ رسالات الله للناس وذلك للتفريق بين الأنبياء والذين يدعونها كذبا وإن طبائع الناس مختلفة فعندما نتحدث بمعلومة لشخص ما فقسم من الناس يصدقك بأبسط دليل توجهه له وقسم لا يصدقك إلا بدليل قوي مقنع وقسم آخر وإن اقتنع بكلامك وعلم صدقك فإنه لا يعترف بذلك عنادا وتكبرا. وكذلك الأنبياء حين يبعثهم الله إلى أقوامهم فإن الناس مختلفون في طبائعهم وتصديقهم فمنهم من يقتنع بأول لقاء ومنهم من يحتاج إلى أدلة ليقتنع بصحة نبوتهم ومنهم من يعاند وينكر حتى إذا رأى الحقيقة واقتنع به في نفسه لكنه لا يظهر ذلك ويخفيه تكبرا أو عنادا، لذلك نرى تعدد أساليبهم في إنكار النبوة ولم يثبتوا على رأي، لأنهم يتخذونها وسائل للهروب من المواجهة في تحدي القرآن حتى لا يتكشف أمرهم ولهذا السبب احتاج الأنبياء والمرسلون إلى التحدي لتكون آية وبرهانا على صدق الذي جاءوا به ولتثبيت قلوبهم وقلوب من معهم من المؤمنين ليزدادوا ثباتا وعزما ولدفع شبهات المنكرين لذا تحدى الأنبياء أقوامهم بالآيات، فتحدى سيدنا موسى عليه السلام بالعصا واليد البيضاء وتحدى سيدنا عيسى عليه السلام بإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وتحدى سيدنا محمد ﷺ بالقرآن أمة فيها أقوى البلغاء ومع كونهم في القمة في تمكنهم من صناعة الشعر ولكنهم ما استطاعوا ولو قدر لهم الإتيان بمثله لأتوا به ولو أمكنهم الاتيان بمثله لما كان القرآن دليلا وحجة، فإن تحدي الله بالقرآن كان لإثبات نبوة الرسول ﷺ وتثبيت فؤاده قال تعالى: " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا" 12 وكذلك ليعرف صدقه من لا دراية له بفنون البلاغة عندما يرى عجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته فالتحدي علامة صدق النبي ﷺ لما يدعو إليه. وإن أحد أسباب الحاجة إلى التحدي هو أن الرسول محمد ﷺ خاتم

الانبياء والمرسلين فكان التحدي بالقرآن علامة على صدقه لذلك نرى الرسول ﷺ وصحابته ومن بعدهم الى يومنا هذا اعتنوا بحفظ القرآن الكريم وتفسيره وبيان وجوهه وجمالية أدائه وقد أفرد العلماء لكل جانب من جوانبه بالبحث والتأليف كتباً كثيرة وكل بما برع فيه لحفظ كتاب الله مصداقاً لقوله تعالى : "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" 13.

5.1. أهم المؤلفين في التحدي:

إن من حكمة الله سبحانه وتعالى وكرمه أن أرسل إلى البشرية رسلاً يرشدونهم إلى ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة وكان من حكمته أن ختم الأنبياء بنينا محمد صلى الله عليه وسلم وأيده بأية باقية مدى الأزمان ألا وهي القرآن الكريم وتكفل بحفظه وأودع فيه من العلوم والبراهين ما أبهر العلماء، ففيه علوم الأولين والآخرين وفيه بيان للعقيدة الصحيحة وأحكام العبادات والأخلاق وتربية الفرد والأسر والمجتمعات وغيرها ما يتناسب مع جميع مستويات الناس، فاجتمعوا إليه ينهلون منه بكل ما يملكون من قوى ذهنية وملكات نفسية وروحية، يدرسونه ويتدارسونه ويتأملون ما فيه من العلوم والاحكام، كل ذلك عناية الله بخلقه حتى لا ينجرّفوا ويغترّوا بمكايد الشيطان والشهوات التي تسبب لصاحبها الهلاك والندم في الدارين، فكثر العلوم المنتقاة من القرآن الكريم مثل النحو والتفسير والبلاغة والبيان والتاريخ وغيرها، خدمة لكتاب الله واستفادة من علومها وارشاداتها وصيانتها من شبهات المنكرين. وبعد أن أثار أعداء الإسلام الشبهات حول القرآن الكريم، انبرى كثير من العلماء للتصدي والدفاع عنه وأصبح جل اهتمامهم البحث في إعجاز القرآن وبيان وجوهه وقد اجتمع من تلك الدراسات محصول وفير لدحض شبه المفسدين وأن الأوان لنجول جولة سريعة بين القرون الماضية لتنتقل إلى جهود بعض العلماء في تلك الأزمان باختصار، فقد كان مبحث الأعجاز وعلوم القرآن الأخرى مندرجا في كتب أخرى كالتفسير واللغة وغيرها في

بداية الأمر ثم بعدها أفردت بمجلدات ورسائل خاصة ونذكر على سبيل المثال أهم المؤلفين المشهورين:

فمن هؤلاء **الجاحظ** (255 هـ) عمرو بن بحر الليثي الشهير بالجاحظ رئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ولد في البصرة وتوفي فيها له مؤلفات كثيرة، يمكن القول بأن الجاحظ كان من الأوائل الذين كتبوا في إعجاز القرآن الكريم إن لم يكن أولهم. فكان يدافع عن القرآن مبينا إعجازه وأن المشركين عندما أنكروا استجابة دعوة الرسول أنكروا ذلك عنادا وتجبرا لأنهم رأوا البرهان بأعينهم. وكان يمثل لذلك كأن الرسول صلى الله عليه يقول لهم بتحديه: انتم أهل الفصاحة وفيكم الخطباء والدهاة، تعالوا عارضوني بسورة واحدة، حتى تثبتوا لأنفسكم الصدق فيما تكذبوني. ثم يعلق تعليقات جميلة على ذلك ما معناه ولا يمكن لهؤلاء مع كثرتهم وفصاحة ألسنتهم ومهارتهم في إنشاء الشعر والخطب ومع عداوتهم له ومع كل ذلك لم نجد من يعارضه، يذكر الجاحظ أن السبب في ذلك أحد أمرين بقوله: " إما أن يكونوا عرفوا عجزهم وأن مثل ذلك لا يتهيا لهم، فرأوا أن الإضراب عن ذكره والتغافل عنه في هذا الباب وإن قرعهم به أمثل لهم في التدبير وأجدر أن لا يتكشف أمرهم للجاهل والضعيف... وإما أن يكون غير ذلك ويقصد بذلك انهم قادرون عليها. ثم يرد على الامر الآخر بقوله: ولا يجوز أن يطبقوا على ترك المعارضة وهم يقدرون عليها " ¹⁴.

ثم يبين أن معجزة موسى وعيسى (عليهما السلام) كان من جنس ما برع به قومهما ويذكر أن أهل الجاهلية كانوا بارعين في حسن البيان وألهموا في نظم أجود الكلام وكثر شعراؤهم وفاق الناس خطباؤهم وعندما بعث رسوله محمد ﷺ أنكروا رسالته فتحداهم بما كانوا بارعين فيه مدة طويلة وما استطاعوا أن يعارضوه، حتى تبين للجميع أن القرآن الكريم كلام الله تعالى.

ومنهم **الخطابي** (388 هـ) أبو سليمان حمد بن محمد البستي المعروف بالخطابي، له شعر ومؤلفات. وهو أيضا من الأوائل الذين أفردوا في إعجاز القرآن الكريم في

¹⁴ الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الليثي، (ت. 255 هـ)، رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1384 هـ - 1964 م، 3/ 275، 277.

مؤلفات خاصة، حيث ألف رسالته بيان إعجاز القرآن، فيقول في مستهلها ما مختصره إن اختلاف الناس في بيان وجه الإعجاز سببه أن هذا الأمر ليس مما يواجه بالنظر، إنما هو مما يستشعر بالقلب أو البصيرة، فاختلفت آراؤهم بحسب فهم كل واحد منهم من القرآن الكريم، أما مسألة الإعجاز فلا خلاف بين الناس في إعجازه فهو أوضح من أن يخفى على أحد. ويستدل على إعجاز القرآن الكريم بتحدي النبي ﷺ العرب قاطبة مدة عشرين سنة متحدياً لهم مسفها في ذلك أحلامهم وآراءهم حتى نابذوه وناصبوه الحرب ولو أمكنهم لما جازفوا بكل هذه المخاطر وقد كان فيهم الخطباء المصاقع والشعراء. فإنك ترى تشابهاً بينه وبين الجاحظ في الاستدلال على إعجاز القرآن، إلا إن الخطابي أفرد الإعجاز بالتأليف وأضاف إليه التقسيمات والتوضيحات وأفصح عن كثير من الأمور المتعلقة بالإعجاز وبيّن الخطابي في رسالته هذه آراء العلماء في وجوه التحدي ويرد فيها على القائلين بالصرفة وعلى أدلتهم ويرد أيضاً على القائلين بأن وجه التحدي به هو الأخبار الغيبية. ثم يبين الخطابي رأيه في الوجه المتحدي به. وهو اللفظ والمعنى. ثم يذكر سبب عدم قدرة البشر لتأليف كلام مثله منها عدم إحاطة علمهم بجميع الأسماء، والألفاظ التي هي حوامل للمعاني وكان يؤكد دائماً على أن بلاغة الكلام تظهر من ثلاثة جوانب: لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم، فعنده الألفاظ الفصيحة لا تكفي والمعنى بوحده لا يكفي وإنما باجتماعهما يكون النظم بليغاً. قائلاً: "واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني"¹⁵.

ومن هؤلاء الاعلام الباقلائي (403 هـ) محمد بن الطيب أبو بكر الباقلائي، والباقلاني هو الآخر من الأوائل في هذا الفن الذي ألف كتاباً خاصاً في إعجاز القرآن يبدأ الباقلائي بذكر مقدمة عن بعث الرسل وتأييدهم بالآيات ثم يذكر أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أيد بمعجزات حسية كالأنبياء قبله وخص بمعجزة عقلية خالدة وهي القرآن الكريم وقد أدهش العرب لما سمعوا القرآن الكريم، فمنهم من آمن به ومنهم من

¹⁵ أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي الخطابي (ت. 388 هـ)، بيان إعجاز القرآن، المحقق: محمد خلف الله، محمد زغلول، دار المعارف بمصر، ط/3، 1976م، ص 27.

كفر وتحدى المشركين ثلاثة وعشرين سنة مقموعين مدحورين. وقد ندب الله المسلمين إلى قراءته وتدبر معانيه فأقبل عليه علماءهم يتدبرونه ويفسرونه. أما أعداؤهم فأقبلوا عليه ينتبعون ما تشابه من آياته ابتغاء الفتنة وتحريف كلماته. وكان الأولون منهم يخافتون بأقوالهم خوفا من بطش الخلفاء وخلف من بعدهم خلف كانوا أكثر ثقافة وعلماء وبياناً فأفصحوا آراءهم وجأهروا بمعتقداتهم وبثوا شكوكهم في المجالس والأندية وقد ساعدهم على ذلك تبدل الزمان وتسامح الخلفاء في غير ما يمس سلطانهم ثم يذكر نهوض فريق من العلماء يدروون عنه وينافحون دونه ثم يذكر أسماء جم كثير منهم، أما بالنسبة إلى وجوه الإعجاز فيذكرها ويصرح بأن هذه أقوال من سبقه إلى هذا الميدان فيقول: " ذكر أصحابنا في ذلك ثلاثة أوجه من الإعجاز " ¹⁶ ثم يفصل القول في الوجه الثالث ويبين أن الذي جعل نظمه البديع معجزاً جوانب منها ما يرجع إلى نظم القرآن المخالف لنظم كلامهم وترتيبها ويتميز بأسلوبه الخاص في تصاريف الكلام وذلك أن طرق الكلام لدى العرب كانت معروفة فهي إما أوزان الشعر أو كلام موزون غير مقفى إلى غير ذلك من كلامهم فإن القرآن الكريم خارج عن هذه الوجوه، ثم يوضح أن القرآن الكريم ليس من باب السجع وليس من قبيل الشعر وهذه خصوصية ترجع إلى إعجاز القرآن ثم إن الباقلاني يستدل على إعجاز القرآن ببيان واسع للآيات القرآنية نكتفي بهذا القدر لنلتقي بعالم آخر من المدافعين عن القرآن الكريم.

ومنهم **القاضي** عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسدي (415 هـ)، كان شيخ المعتزلة في عصره وهم يلقبونه قاضي القضاة ولا يطلقون هذا اللقب على غيره ولي القضاء بالري ومات فيها وأشهر كتبه كتاب المغني وهو كتاب ضخم فيه مباحث كثيرة في العقيدة والفقه، أفرد القاضي عبد الجبار جزءاً خاصاً للإعجاز يبدأها بمقدمات ومباحث يثبت من خلالها صحة القرآن وتواتر نقله وفيما يفيد وصف الرسول وما يجب أن يختص به ويرد بعدها على شبه البراهمة، ثم يذكر المعجز وشروطه وأن المعجزات لا تخص إلا الأنبياء وبطلان القول بأن المعجزات تظهر

¹⁶ الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 33-34.

على السحرة والكهنة ثم يذكر ما يستحيل على الأنبياء من الكذب والكتمان والكبائر، ثم يتكلم في الأخبار وشروطه وما يحسن منه وما يقبح ويفصل القول في الأخبار حتى في المجلد الذي يلي النبوات المجلد السادس عشر ما يقارب من خمسين صفحة، ثم يكتب فصولاً عن النسخ وما يصح منها وما لا يصح منها يثبت من خلالها نسخ الشرائع بشريعة النبي محمد ﷺ ثم يعرض لثبوت نبوة النبي وقيم لها الأدلة، ثم يتكلم عن الإعجاز ثم يجعل موازين للكلام البليغ ويستشهد كثيراً بقول أستاذه أبو هاشم، فيقول: قال شيخنا أبو هاشم إنما يكون الكلام فصيحاً لجزالة لفظه وحسن معناه... فلا بد من اعتبار الأمرين معاً وهذا معناه أن بلاغة الكلام ليس من جهة معناه فقط وليس من جهة النظم فقط، إنما هي في معنى كريم في لفظ كريم. ثم يفصل كثيراً في الفصاحة. ثم يذكر الوجه الذي يصح أن يكون القرآن معجزاً حيث يقول: "واختلف العلماء في وجه دلالة القرآن فمنهم من جعله معجزاً لاختصاصه برتبة في الفصاحة خارجة عن العادة وهو الذي نظرنا وبيننا مذهب شيوخنا فيه"¹⁷ ويرد على القائلين بأن القرآن معجز للنظم فقط ويذكر وجوه القرآن ما يصح منها وما لا يصح ثم يذكر فصلاً في إثبات سائر معجزات الرسول غير القرآن وأنه مبعوث إلى الناس كافة نكتفي بهذا القدر من خلال ما سبق يتبين لنا غزارة علمه ولذلك كانت المعتزلة تسميه بقاضي القضاة وأنه بذل أقصى جهده في الدفاع عن القرآن الكريم ودفع الشبهات عنه.

ومنهم **الجرجاني** (471هـ) أبو بكر عبد القاهر الجرجاني ولد في جرجان وتوفي فيها كان مؤلفاً بلاغياً ماهراً وقد اشتهرت كتبه وانتشرت، يبين الجرجاني أن إعجاز القرآن في نظمه ورد على الذين يرجعونها إلى الألفاظ أو إلى المفردات أو المعاني ورفض أن يكون الإعجاز في المفردات أو حتى إلى معانيها وإنما ردها إلى حسن النظم. فهو يرى أن المفردات إن لم تنتظم في سياق الجمل المفيدة لا اعتبار لها لأن اللفظة المفردة تتغير معناها باختلاف مكانتها من الجملة فكيفية نظمها في سياق الجملة يؤثر في دلالتها على المعنى المراد. ويرد على القائلين بالصرفة نختار بعضاً

¹⁷ عبد الجبار القاضي أبي الحسن الأسد آبادي (ت. 415)، المغني في أبواب التوحيد والعدل، د. ط، دبت، 16/318.

من ادلتها التي استشهد بها على بطلان قولهم منها أنه يلزمهم أن العرب تراجعت في البلاغة والبيان وعدموا الكثير مما كانوا يستطيعون من قبل، حينها لا تقم عليهم حجة لأنه لا يمكن التحدي والمبارزة مع من عدم الاستطاعة ولو افترضنا أنهم منعوا من شيء كان في مقدورهم، حينها لا يكون لكلام الله فضل على كلامهم¹⁸. ويستمر في الأدلة إلا إنا اكتفينا بهذا القدر لأن المقام ذكر نبذة مختصرة عن حياته وآراءه لا أن نخوض في التفاصيل.

ومنهم الزمخشري (538 هـ) محمود بن عمرو بن محمد الخوارزمي الزمخشري، عالم بارع في كثير من العلوم وبالأخص في علوم البلاغة و الآداب والتفسير واللغة، سافر إلى مكة وبقي فيها مدة ولذلك سمي بجار الله، ثم عاد إلى جرجان وتوفي فيها. له مؤلفات كثيرة وكان ينحو نحو المعتزلة ويأخذ الكثير من آراءهم ولكنه لم يتعصب لآراءهم إنما كان حر الرأي، فكان عالما لا يقبل من الرأي إلا بما يطمئن إليه قلبه ولهذا نراه وإلى يومنا هذا مكانته محترمة عند علماء المعتزلة والسنة على حد سواء، فهو يخالف المعتزلة في بعض آراءه، لم يؤلف الزمخشري كتابا خاصا في إعجاز القرآن الكريم لكنه قام بإبداع شيء جديد وذلك أنه أقام أدلة الإعجاز وشواهد من خلال تفسيره للقرآن الكريم وأن يجعله بأجمعه مجالا للناظرين والباحثين في الإعجاز ومواقعه في القرآن الكريم لهذه الغاية فهو يخالف المفسرين في شرح مفرداته أو بيان الأحكام فيه إلى غيرها من مناهج المفسرين، إنما كان نظره استنباط وجوه الإعجاز من المفردات والتراكيب وأراد بطريقته هذه أن يتتبع عن مظان الإعجاز في تراكيب أي القرآن فيما ينكشف له من روائع البيان، فهو يعلق دائما على دقائق من علوم اللغة و البلاغة فيها مما يظهر لنا علمه الغزير في فنون الأدب والبلاغة، ففسر القرآن كله بعرض الروائع التي في نظمه مما ميزه عن سائر الكلام، ثم يتبين لك وجوه الإعجاز من خلال تصويره لتلك الأسرار وسأنقل قسما من مقدمته

¹⁸ الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، (ت. 471 هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط 3، 1413 هـ - 1992م، ص 390.

الرائعة الجميلة فيقول فيها: " الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاما مؤلفا منظما ونزله بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفتتحا وبالإستعانة مختتما وأوحاه على قسمين متشابهين ومحكما وفصله سورا وسوره آيات وميز بينهن بفصول وغايات"¹⁹ فإنك ترى ذوقه الجميل واضحا في عباراته وله أسلوبه الخاص حتى في كتبه الأخرى، مثل أساس البلاغة في اللغة والمفصل في النحو، مما يتبين لنا علمه الغزير بدقائق علوم الأدب و العربية، فهو يقول يجب على الذي يخوض في علم التفسير أن يكون له قدرة عالية في علمي المعاني والبيان ويستشهد بقول الجاحظ في ذلك.

ومنهم الرافعي (1356 هـ) مصطفى صادق بن عبد الرزاق الرافعي، عالم بالأدب وشاعر وهو من طرابلس الشام ومولده في بهتيم ووفاته في طنطا بمصر. من كتبه تحت راية القرآن وتاريخ العرب واعجاز القرآن وحديث القمر ورسائل الرافعي وكتب أخرى. يعتبر الرافعي من الذين أفردوا التأليف في إعجاز القرآن في كتاب خاص، فقد استفاد من العلماء السابقين فهو يقول: " وإنما الإعجاز شينان: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه فكأن العالم كله في العجز انسان واحد"²⁰ فالمعجزة عنده أن تعجز قدرة الناس كلهم ويستمر ذلك إلى قيام الساعة، ثم هو ينتقد العلماء السابقين بدون أن يستثني أحدا ويتهممهم بأنهم يدافعون عن مذاهبهم وإن ظهر لهم الحق بخلافه وهو ينتقص كثيرا من العلماء، يا حبذا لو لم تكن فيه هذه الصفة، ثم يبين الغرض الذي من أجله ذكر آراء العلماء في الإعجاز وهو بيان تاريخ ما قيل في القرآن وإعجازه وأن أول ما قيل في القرآن الكريم مقالة تنسب إلى رجل يهودي يسمى لبيد بن الأعصم حيث كان يقول بخلق القرآن إلى أن وصلت إلى الجعد بن درهم، ثم يذكر ظهور المعتزلة وانقسامهم إلى عشرة فرق واختلافهم في وجوه الإعجاز وظهور القول بالصرفة ومعناه عند المعتزلة، ثم يذكر قول المرتضى من

¹⁹ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، (ت. 538 هـ)، الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/ 3، 1407 هـ، 1/ 1.

²⁰ الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد، (ت. 1356 هـ)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي بيروت، ط/ 8، 1425 هـ، ص 35.

الشيعة بالصرفة ويرد عليهم ويلوم النظام على قوله بالصرفة بأنه كان السبب في عزوب الناس عن الكتابة في بلاغة القرآن لأنهم اكتفوا بالصرفة للدفاع عنه وينكر على ابن حزم رايه بالصرفة، ثم يبين رأيه في وجه الإعجاز فعنده إن القرآن معجز من جميع الوجوه إلا إنه يبحث فيه من حيث هو كلام عربي ومن الجانب التاريخي للأدب العربي لكون ذلك من اختصاصه. ويرى أن الإعجاز وقع بالنظم ويقسمها إلى ثلاثة أقسام الحروف والكلمات والجمل، فهو أضاف إلى ما قاله الخطابي قسم الحروف وأطال كثيرا في أصوات الحروف والجمل ونبراتها الموسيقية المؤثرة في السمع وبهذا الإبداع أضاف شيئا جديدا إلى مسألة الإعجاز. من خلال هذه الجولة السريعة بين كتب القدماء تبين لنا أن الجاحظ أول من أفرد لبعض مسائل الإعجاز كتابا سماه نظم القرآن إلا إنه لم يصل إلينا إنما أشار إليه المؤلف من خلال كتبه الأخرى رد فيه على الشبهات التي كانت تثار ضد القرآن، وقد نهج العلماء نهج الجاحظ في بيان محاسن وجمالية الألفاظ القرآنية وما يشتمل فيها من النكاة ثم الدفاع عنه بالأدلة الوافية، ثم جاء من بعدهم الخطابي برسالته في إعجاز القرآن وقد اتصفت رسالته بالعلمية والتنظيم، ذكر فيها أسباب اختلاف العلماء في وجوه التحدي وآراء العلماء فيه وبين أنواع الكلام والوجه المعتبر عنده وبتأليفه هذا كان امتدادا لما قبله ورفع بها درجة ثم جاء من بعده الباقلاني بكتابه إعجاز القرآن فرفع به درجة أخرى والذي اعتبره المتأخرون من بعده بابا في الإعجاز على حده وكان خبيراً في صناعة الكلام حيث أخذ من العلماء الذين سبقوه وأضاف إليه أموراً وبسط الشرح في أشياء واختصر أخرى وصاغه بأسلوب عصره، ثم جاء من بعده القاضي عبد الجبار كان شيخ المعتزلة في عصره وكان يلقب بقاضي القضاة لغزارة علمه، أفرد القاضي عبد الجبار جزءاً خاصاً للإعجاز يبدؤها بمقدمات ومباحث يثبت من خلالها صحة القرآن وتواتر نقله ويرد فيها على شبه البراهمة ويذكر شروط المعجزات وأنها لا تخص إلا الأنبياء ويجعل موازين للكلام البليغ ويستشهد كثيراً بقول أستاذه أبو هاشم يفصل كثيراً في الفصاحة ويذكر الوجه الذي يصح أن يكون به القرآن معجزاً وهو يخالف النظام في تفسير الصرفة ثم جاء من بعده الجرجاني وقد اشتهر بنظرية النظم، حيث يقول إن بلاغة الكلام لا تظهر إلا في

النظم، فلا اعتبار للكلمات بوحدها ولا اعتبار للمعاني إن لم تكن في جملة مفيدة لذلك فإنه يرجع إعجاز القرآن إلى نظمه ومعناه. ثم جاء من بعده الزمخشري كان عالما بارعا في كثير من العلوم وقد قام بإبداع شيء جديد وذلك أنه بين جمالية القرآن وبلاغته من خلال تصويره لتلك الروائع التي في نظمه ويأتي من بعده الرافعي وجاء بإبداع شيء جديد حيث أضاف إليها أصوات الحروف والجمل ونبراتها الموسيقية المؤثرة في السمع وبهذا الإبداع أضاف شيئا جديدا إلى مسألة الإعجاز ويقسمها إلى ثلاثة أقسام: صوت النفس أول الأصوات الثلاثة التي لا بد منها في تركيب النسق البليغ... وصوت العقل وهو الصوت المعنوي الذي يكون من لطائف التركيب في جملة الكلام وصوت الحس وهو أبلغهن شأنا لا يكون إلا من دقة التصور المعنوي والإبداع في تلوين الخطاب وهكذا نرى أن الرافعي أضاف شيئا جديدا إلى تراثنا الإسلامي، فعلوم القرآن الكريم لا تنتهي واكتفيت بهذا القدر خوفا من الملل إلا أن العلماء الذين كتبوا في هذا الموضوع كثير والحمد لله رب العالمين.

الفصل الثاني

2. مراحل التحدي

1.2. مراحل التحدي بالقرآن الكريم

إن الملاحظ من أسلوب التعبير القرآني في الآيات التي كانت تتحدى بها المشركين، كان يتغير بحسب الواقعة وطريقة إنكارهم، فمرة يتحداهم بجميع القرآن ومرة أخرى بسورة واحدة مثله وأخرى بسورة من مثله أو بعشر سور مفتريات وهكذا. وقد اجتهد العلماء في تفسير هذه الآيات واختلفت وجهات نظرهم في ذلك فمنهم من يرى أن التحدي لم يكن بالتدرج بمعنى أن التحدي لم يكن بجميع القرآن أو بجميع ما نزل قبل آية التحدي أولاً ثم بعشر سور مفتريات ثانياً ثم بسورة واحدة ثالثاً لأن أسباب نزول آيات التحدي لا تساعد على ذلك حيث إن التحدي بالسورة الواحدة وقعت قبل التحدي بعشر سور بحسب وجهة نظرهم ومن هؤلاء محمد رشيد رضا. ومن العلماء من قال إن التحدي كان بالتدرج وهم الأكثرون واختلفوا في تلك المراحل فجعلها بعضهم ثلاثة مراحل وجعلها آخرون أربعة وبعضهم ستة مراحل وسنبين آراءهم ونناقشها فيما يلي: يقول أبو عبد الله الرازي في تفسيره الكبير: "واعلم أنه قد ظهر بهذا الذي قررناه أن مراتب تحدي رسول الله ﷺ بالقرآن ستة: فأولها: أنه تحداهم بكل القرآن كما قال: " قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً"²¹ وثانيها: أنه تحداهم بعشر سور قال تعالى: " فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دونه إن كنتم صادقين"²² وثالثها: أنه تحداهم بسورة واحدة كما قال تعالى: " فأتوا بسورة من مثله"²³ ورابعها: أنه تحداهم بحديث مثله فقال تعالى: " فليأتوا بحديث مثله"²⁴ وخامسها: أن في تلك المراتب

²¹ الإسراء، 88 / 17.

²² هود، 11 / 13.

²³ البقرة، 2 / 23.

²⁴ الطور، 52 / 34.

الأربعة كان يطلب منهم أن يأتي بالمعارضة رجل يساوي رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدم معرفته القراءة والكتابة، ثم في سورة يونس طلب منهم معارضة سورة واحدة من أي إنسان سواء تعلم العلوم أو لم يتعلمها وفيه نظر لحدوث التناقض في قوله لأن في المرتبة الثانية من هذه المراتب الأربعة التي ذكرها المؤلف طلب الله منهم الاستعانة بكل ما سوى الله للمعارضة حيث قال تعالى: " فأتوا بعشر سور مثله مفتریات وادعوا من استطعتم من دونه إن كنتم صادقين"²⁵ وسادسها: أن في المراتب المتقدمة تحدى كل واحد من الخلق بوحده دون أن يشارك غيره وفي هذه المرتبة تحدى جميعهم وجوز أن يستعين البعض ببعض في الإتيان بهذه المعارضة كما قال: " وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين"²⁶ وهاهنا آخر المراتب، فهذا مجموع الدلائل التي ذكرها الله تعالى في إثبات أن القرآن معجز"²⁷. وهذا تناقض آخر لأنه استدل للمرحلتين الخامسة والسادسة بنفس الآية في حين يفسرها في المرحلة الخامسة بمعنى مخالف لما في المرحلة السادسة وهذا تناقض آخر. ويقول الخطيب الشربيني قريبا من قوله وكأنه نقل ذلك كله منه بتصريف بسيط²⁸. يقول ابو الطيب محمد صديق خان: " ومراتب تحدي رسول الله ﷺ بالقرآن أربعة: أولها: أنه تحداهم بكل القرآن كما قال تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)²⁹ ثانيها: أنه تحداهم بعشر سور، قال تعالى (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتریات)³⁰ ثالثها: أنه تحداهم بسورة واحدة كما قال تعالى (فأتوا بسورة مثله)³¹ رابعها: أنه تحداهم بحديث مثله كما قال تعالى (فليأتوا

²⁵ هود، 13/11.

²⁶ يونس، 38/10.

²⁷ فخر الدين، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي، (ت. 606 هـ)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط/ 3، 1420 هـ، 17/255-256.

²⁸ شمس الدين، محمد بن أحمد، الخطيب الشربيني، (ت. 977 هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق الأميرية القاهرة، 1285 هـ، 4/ص 20-21.

²⁹ الإسراء، 88/17.

³⁰ هود، 13/11.

³¹ يونس، 38/10.

بحديث مثله³² فهذا مجموع الدلائل التي ذكرها الله في إثبات إن القرآن معجز³³. وكأنه نقل المراحل الأربعة الأولى من الفخر الرازي وكأنه فطن الى التناقض الموجود في المرحلتين الخامسة والسادسة، فلم يأتي بهما. ويفرق عبدالقادر الملا حويش بين آيات التحدي فمثلا في سورة يونس في قوله تعالى: " أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين"³⁴ المراد منه: هاتوا بسورة مثل جميع ما نزل قبلها من الإخبار بالغيب والأحكام والوعد والوعيد فضلا عما عليه من الفصاحة والبلاغة والبيان وحسن النظم ويقول ترتيبها حسب النزول 52، أما في سورة البقرة فالمراد منه بسورة من رجل مثل محمد ﷺ في كونه لا يعرف القراءة والكتابة لأنه تعالى يقول: " فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين"³⁵ وما قيل إن "من" زائدة لا قيمة له لأنه لا زيادة في القرآن، ثم يقول بعد ما تحداهم بكل القرآن كما في سورة الإسراء ويونس وظهر عجزهم تحداهم بأقل من ذلك طلب منهم في سورة هود أن يأتوا بعشر سور مفتريات وأن يستعينوا بما سوى الله بجميع خلقه ليستعينوا بهم وهذه الآية والتي بعدها مدنيتان نزلتا متأخرتين عن سورتها المكية ونزلت بعد جميع السور المكية البالغ عددها: (86) سورة وقسم من المدني والفرق هنا مع الآيات الأخرى أن الإتيان من المخاطبين جميعهم أميهم وقارئهم فظهر أن كل آية مختصة بشيء لا تشملها الآية الأخرى³⁶. ويقول الطنطاوي: " في تفسيره الوسيط ما مختصره إن الله تعالى تحداهم بأن ينظموا من كلامهم بمثل القرآن الكريم وتحداهم تارة أخرى بأن يأتوا بعشر سور من مثله مفتريات لأنهم لم يكتفوا بعنادهم بل جاوزوا ذلك بقولهم إنك افتريت القرآن الكريم من عندك فقال تعالى موبخا لهم: قل لهم نظموا عشر سور مختلفات ليخرس ألسنتهم ويكبت نفوسهم واطلبوا كل من تروونه أهل

³² الطور، 52/34.

³³ الحسيني أبو الطيب، محمد صديق خان بن حسن بن علي، (ت. 1307 هـ)، فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 1412 هـ، 6/64.

³⁴ يونس، 10/38.

³⁵ البقرة، 2/23.

³⁶ عبد القادر بن ملا حويش السيد محمود آل غازي العاني، (ت. 1398 هـ)، بيان المعاني، مطبعة الترقى دمشق، ط 1، 1382 هـ، 1965 م، 3/102-103.

لذلك ليعينكم في صناعة الكلام إن كنتم صادقين في زعمكم أنني افتريته وتحداهم تارة أخرى بأن يأتوا بسورة واحدة"³⁷. فالتحدي عند الطنطاوي يرجع الى ثلاثة أشكال ويقول محمد رشيد رضا: " ولعل وجه التحدي بعشر سور مفتريات دون سورة واحدة، هو إرادة نوع خاص من أنواع الإعجاز وهو الإتيان بالخبر الواحد بأساليب متعددة متساوية في البلاغة"³⁸. وعند القرطبي وقع التحدي على ثلاثة مراحل وبالتدرج من الأعلى إلى الأدنى"³⁹.

وبعد أن بينا نبذة من أقوال العلماء نبين أن التحدي بالقرآن الكريم كان سببه إنكار المشركين وعنادهم بعد ما رأوا الحقيقة وتيقنوا من صدق النبي صلى الله عليه وسلم ولأنهم كانوا ييثنون الشكوك و الأوهام في القرآن الكريم لإبعاد الناس عن هذا الدين الجديد لذلك تحداهم الله تعالى بأن يأتوا بمثله طيلة مدة الرسالة ما يقرب من ثلاثة وعشرين سنة وأراح لهم العنان كي يتيقنوا من صدق النبوة والرسالة ويثبت لهم عدم قدرتهم على معارضة القرآن لأنه كلام الخالق وليس بكلام المخلوق. وكان أسلوب التحدي يختلف بحسب طريقة إنكارهم وبأي شيء كان ألزم لهم تحداهم به، لأن التحدي غير مقصود لذاته إنما المقصود لازمه، فمرة تحداهم بالإتيان بمثله ومرة بعشر سور مثله مفتريات ومرة بسورة مثله ومرة بسورة من مثل الرسول ﷺ في الأمية وعدم معرفة الكتابة.

و بعد النظر في الآراء السابقة وغيرها المبسطة في الكتب اتضح أنه لا خلاف بين العلماء في أن التحدي بالقرآن الكريم كان متكررا وكل مرة بأسلوب مغاير لما قبله وذلك لاختلاف طرق إنكار المنكرين، إنما وقع الخلاف في كونه هل كان بالتدرج من الأعلى إلى الأدنى أم كان بحسب الحاجة، ثم إن القائلين بالتدرج اختلفوا أيضا في تحديد تلك المراحل بين ثلاثة مراحل أو أربعة أو ستة على أن كل هذه الخلافات لا تضر لأن

³⁷ محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، ط/ 1، 1997، 7/ 174-175.

³⁸ محمد رشيد بن علي رضا الحسيني القلموني (ت. 1354 هـ)، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م، 1/ 161.

³⁹ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الخزرقي القرطبي (ت. 671 هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط/ 2، 1384 هـ - 1964 م، 1/ 77.

النتيجة واحدة وهو إثبات الحجة على المنكرين وأن لا يغتر بهم من ضعف إيمانه، فذهب فريق من العلماء إلى أن التحدي لم يكن بالتدرج من الأعلى إلى الأدنى لأن أسباب نزول آيات التحدي لا تساعد على ذلك، فالمطالبة بعشر سور في سورة هود نزلت بعد المطالبة بسورة مثله في سورة يونس وفي ذلك يقول محمد رشيد رضا: " فعلم من هذا التفصيل أن التحدي بإعجاز القرآن لذاته في جملته" ⁴⁰ وعنده أن التحدي بالسورة الواحدة بعد أن تحداهم بالعشر ليس من باب التخفيف وإن التحدي بعشر سور هو نوع آخر من أنواع التحدي وهو طلب الإتيان بالقصة المفتراة بأساليب متعددة لكنها متساوية في الفصاحة. والجواب على ذلك أن التحدي في سورة يونس وقع بجميع أساليب ما نزل قبلها من السور من الفصاحة والبلاغة والوعد والوعيد والأخبار والأحكام والتوحيد وغيرها أما في سورة هود فلم يطلب منهم سوى عشر سور مفتريات هذا من باب التخفيف حتى لا تبقى لهم حجة. وذهب فريق آخر إلى أن التحدي كان بالتدرج وعلى مراحل واختلفوا في تفسير تلك المراحل وفي كيفية الاستدلال بالآيات، فيجعلها الفخر الرازي ستة مراحل وعند التدقيق فيها تجدها خمسة مراحل لأن الخامسة توضيح للأربعة الأولى وهو قول الخطيب الشربيني أيضا ويجعلها محمد صديق خان أربعة مراحل ولكن يستدل للمرحلة الثالثة بسورة يونس وللرابعة بسورة الطور ونرى تشابها بين القولين السابقين واختلافا في طريقة الاستدلال، حيث يستدل محمد صديق خان للمرحلة الثالثة بما في سورة يونس، بينما يستدل بها الفخر الرازي للمرحلة السادسة عنده وبما أن القرطبي والطنطاوي والملا حويش اتفقوا في عدد المراحل وجعلوها ثلاثة مراحل إلا إنهم اختلفوا أيضا في طريقة الاستدلال فالقرطبي استشهد أولا بسورة الطور ثم بعشر سور مفتريات فلما عجزوا حطهم إلى مثل سورة من السور القصار. وأما الطنطاوي فيستشهد في المرحلة الأولى بآيتي الإسراء والطور وفي المرحلة الثانية بالآية التي في سورة هود وفي المرحلة الثالثة بآيتي البقرة ويونس.

⁴⁰ المصدر السابق 1/ 162.

وبعد المطالعة ودراسة أقوال العلماء تبين لي أن التحدي كان سببه إنكار المشركين بعد ما رأوا صدق النبي ﷺ عنادا منهم لذلك كان أسلوب التحدي يتغير على حسب طريقة إنكارهم وبأي شيء كان ألزم لهم تحداهم به ليذعن وينقاد لهذا الدين كل من أراد الهداية ولا يغتر بأكاذيب المنكرين وأن التحدي غير مقصود لذاته وإنما المقصود لازمه وهو إثبات صدق النبوة والرسالة لمن يريد طريق الهداية، لذلك لا يضر هذا الاختلاف ويمكن الجمع بين الأقوال وهو أن التحدي كان بالتدرج وكان بحسب الوقائع والحاجة لأنه أوقع في النفس والزم للمعاندين ليتركوا عنادهم ويزعنوا للحقيقة وإن التدرج كان على ثلاثة مراحل، تحداهم أولا بجميع القرآن أي بجميع ما نزل حينها ثم بعشر سور مفتريات ثم بسورة واحدة ويمكن حل الإشكال الوارد في سورة يونس الدالة في ظاهرها أن التحدي وقع بسورة واحدة مع أنها نزلت قبل هود حيث وقع التحدي فيها بعشر سور، بأن التحدي وقع بجميع ما نزل قبلها وقد نزل قبلها إحدى وخمسون سورة أو أن الإتيان بعشر سور مفتراة أسهل بكثير من الإتيان بالسورة الحقيقية، فالتحدي على قصة حقيقية ثم التعبير عنها بكلام بليغ أصعب من صنع قصة لم يشترط فيها الصدق والواقعية، لأنك يمكنك أن تغير تلك القصة على حسب إجادتك للتعبير البليغ الذي يخطر بذهنك بخلاف القصة الواقعية وأن التي في سورة البقرة كانت لأهل الكتاب الذين عرفوا صفاته في كتبهم وأنهم علموا صدقه لكنهم أنكروا ذلك عنادا ويكون المعنى مختلفا بمعنى هاتوا بسورة من مثل القرآن من رجل مثل محمد صلى الله عليه وسلم في صفاته المكتوبة في كتبكم للنبي المرسل في عدم معرفته بالكتابة والكتب السماوية الأخرى.

2.2. القدر الذي وقع به التحدي

لا خلاف بين العلماء بأن التحدي وقع بالقرآن الكريم ولكن اختلفوا في القدر الذي وقع به التحدي من القرآن على أقوال: فمنهم من يقول أقله بقدر أقصر سورة منه أو بقدرها وإن كانت آية واحدة، كما يقول الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن : " إن أقل

ما يعجز عنه من القرآن السورة قصيرة كانت أو طويلة أو ما كان بقدرها "41 فالآية عنده إذا بلغت بقدر سورة كاملة وإن كانت أقصر سورة من القرآن فهو معجز وإن كانت بقدر سورة الكوثر وهو رأي الإيجي حيث يقول: " فإن المعجز هو المجموع أو مقدار سورة طويلة أو قصيرة بتمامها وأقلها ثلاث آيات"42.

ومن القائلين بهذا الرأي في عصرنا الزرقاني⁴³. فالقدر المعجز عند أصحاب هذا الرأي هي السورة بتمامها سواء كانت قصيرة أو طويلة وقال بعض المعتزلة: إن الإعجاز متعلق بجميع القرآن لا ببعضه وفي ذلك يقول ابن الفرس: " وقد اختلف في القدر الذي يقع به الإعجاز من القرآن، فذهب بعض المعتزلة إلى أنه يتعلق بجميع القرآن وهذا قول ترده الآيتان المذكورتان"44. وذهب بعض العلماء إلى أن الإعجاز يتعلق بأبعض القرآن وإن كان أقل من السورة ومن القائلين بهذا القول ابن حزم الظاهري حيث ينكر على الأشعرية ومن وافقهم بشدة قولهم بأن القدر المعجز هو مقدار أقصر سورة أو أكثر وأن ما دون السورة لم يقع به التحدي، يقول ابن حزم: " وذهب سائر أهل الإسلام إلى أن القرآن كله قليله وكثيره معجز وهذا هو الحق الذي لا يجوز خلافه"45 و لأنه يقول بالصرفة، فهو عنده حتى الكلمة الواحدة لا يمكن الإتيان بها وذهب هؤلاء إلى أن التحدي بجنس القرآن لا بالمقدار و أن الآية الواحدة معجزة وهو قول بعض العلماء المعاصرين ومنهم محمد بكر إسماعيل حيث يقول: " وفي نظري أن الآية من القرآن معجزة بذاتها وإن لم تبلغ في الطول سورة الكوثر فإنك لو عرض على سمعك شيء من كلام الناس وشيء من كلام الله استطعت أن تميز بين

41 الباقلاني، إعجاز القرآن، 1/ 254.

42 عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، (ت. 756 هـ)، كتاب المواقف، دار الجيل بيروت، ط/ 1، 1997، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، 3/ 400.

43 محمد عبد العظيم الزرقاني، (ت. 1367 هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط/ 3، 2/ 129.

44 ابن الفرس الأندلسي، أبو محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم، (ت. 597 هـ)، أحكام القرآن، تحقيق: طه بن علي أبو سريح، دار ابن حزم بيروت، ط/ 1، 1427 هـ، 2006 م، 1/ 41-42.

45 ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري، (ت. 456 هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي القاهرة، 3/ 12.

الكلامين من غير كلفة ولا إنعام نظر."46 ويقول مساعد بن سلمان في رده على محمد بكر اسماعيل: " وبعض العلماء ذهب إلى أنه ورد التحدي بآية لكن هذا القول فيه نظر لأن قوله: " فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين " 47 مجمل يبينه ما وقع من التدرج في التحدي: إما بالقرآن كاملاً وإما عشر سور وإما سورة وبها ختمت مراحل التحدي"48 ويقول بعض العلماء إن القدر الذي وقع به التحدي هو بقدر سورة تامة وإن كانت سورة الكوثر لا أقل من ذلك وهو قول ابن العربي⁴⁹ ويظهر ذلك عندما يفضل السورة على الآية وإن كانت أطول من السورة وهو رأي ابن عاشور أيضاً⁵⁰ وذلك لأن جمالية الكلام لا تظهر إلا في مجموع الكلام، فيحتاج بحسب الموضوع إلى مقدمات وفنون الإيجاز والإطناب وما شابهه وخاتمة وغير ذلك من فنون البلاغة وهي لا تظهر في كلمات معدودة فلا بد لها أن تعطي معنى وتوفي بالغرض الذي سيق من أجله ذلك الكلام. وقد استدلل كثير من العلماء على أن التحدي وقع بالسورة ولم يجعلها في أقل من ذلك لهذا السبب وبه قال مساعد بن سلمان من خلال رده على القائلين بأن قدر الآية معجز.

وفي النظر في أقوال العلماء والأدلة القرآنية يتبين لنا أن الله سبحانه وتعالى لم يتحد بأقل من سورة ولذلك لا يمكننا القول بأن التحدي وقع بأقل من سورة لعدم وجود دليل على ذلك، نخلص بالقول أن الله تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله لكنهم ما استطاعوا مع توفر جميع الدواعي والمستلزمات فهم كانوا سلاطين البلاغة ورؤساء الفصاحة والبيان وكانت صناعتهم الكلام وهم أهل عصبية لا يتحملون التحدي والاستفزاز وكانت من صفاتهم التحدي بأشعارهم وخطبهم وكانوا يتباهون بشعرائهم

46 محمد بكر إسماعيل، (ت. 1426 هـ)، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط/ 2، 1999م، ص 363.

47 الطور، 34/ 52.

48 ابن جزي، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل، دار ابن الجوزي، ط/ 1، 1431هـ، ص 277.

49 أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، الزركشي، (ت. 794 هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ 1، 1376هـ، 1957م، دار إحياء الكتب العربية، ص 442.

50 ابن عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، (ت. 1393 هـ)، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م، 104/1.

وخطبائهم فكانوا مظنة المعارضة والقدرة عليه ولم يقصروا في ذلك لكنهم عندما كانوا ينظمون شيئاً من ذلك فإنهم كانوا يعرفون أن نظمهم بعيد كل البعد من بلاغة القرآن وفصاحته فكانوا يخفون هذا الأمر ولا يعلنونه ورغم ذلك فإن بعضهم أعلن نظمه وأصبح سخرية لم يرض به عوام الناس فضلاً عن فصحاءهم وبلغاءهم، على سبيل المثال منهم مسيلمة الكذاب والأسود العنزي وسجاح بنت الحارث وطليحة الأسدي وابن المقفع ومنهم من هؤلاء من ادعى النبوة والمعارضة وقسم زعم المعارضة فقط، فالتحدي وقع بأقصر سورة ولم يقع بأقل من ذلك ومع ذلك لم يأت أحد بكلام مثله وإلى يومنا هذا، مع شدة احتياجهم إليه فثبت انه كلام الله تعالى.

3.2. التحدي كشرط للمعجزة

اختلف العلماء في اشتراط التحدي كشرط للمعجزة فقال اكثر العلماء باشتراطها وان الدليل على صدق المدعي للنبوة ان يأتي بأية ويدعوا المنكرين الى معارضته ويتحداهم أن يأتوا بمثله فيعجزوا عن الاتيان بمثله، فيتبين صدق من يظهر على يده وقد أيد الله تعالى رسله بالمعجزات وقد ذكر كثير منها في القرآن الكريم مثل قصة سيدنا موسى عليه السلام حيث تحداهم بالعصا واليد البيضاء وتحدي سيدنا عيسى عليه السلام بإحياء الموتى وإبراء الأكمه والابرس وتحدي سينا محمد ﷺ بالقرآن الكريم. وذهب الى اشتراط التحدي الاسفرايني والايحي والقاضي عبد الجبار وابو حامد الغزالي فيقول الايحي في بيان شروط المعجزة وكيف تتميز عن غيرها : " انها تتميز بالتحدي مع ادعاء النبوة"⁵¹ لكنه لا يشترط التصريح بها بل يكفي قرائن الاحوال مثل أن يقال إن كنت نبيا فاطهر معجزا فيفعل ويقول ابو حامد الغزالي في جواب سؤال كيف يمكن التفريق بين المعجزة والكرامة وغيرها: " فإنه لا يؤدي إلى بطلان المعجزة لأن الكرامة عبارة عما يظهر من غير اقتران التحدي به، فإن كان مع التحدي فإننا

⁵¹ عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيحي، (ت. 756 هـ)، كتاب المواقف، دار الجيل، بيروت ط/ 1، 1997، ص338. وانظر طاهر بن محمد الأسفرايني، أبو المظفر (ت. 471 هـ)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، عالم الكتب، لبنان، ط/ 1، 1983، ص169.

نسميه معجزة ويدل بالضرورة على صدق المتحدي"⁵² ومن العلماء من لا يجعلها شرطاً للتحدي كابن حزم الظاهري وينكر على القائلين بها حيث يقول: "ورأيت لمحمد ابن الطيب الباقلاني أن الساحر يمشي على الماء على الحقيقة وفي الهواء ويقلب الإنسان حماراً على الحقيقة وإن كل هذا موجود من الصالحين على سبيل الكرامة وأنه لا فرق بين آيات الأنبياء وبين ما يظهر من الإنسان الفاضل ومن الساحر أصلاً إلا بالتحدي فإن النبي يتحدى الناس أن يأتوا بمثل ما جاء هو به فلا يقدر أحد على ذلك فقط وإن كل ما لم يتحد به النبي ﷺ الناس فليست آية له وذهب أهل الحق إلى أنه لا يقرب أحد عينا ولا يحيل طبيعة إلا الله عز وجل لأنبيائه فقط سواء تحدوا بذلك أو لم يتحدوا وكل ذلك آيات لهم عليهم الصلاة والسلام تحدوا بذلك أم لا والتحدي لا معنى له وأنه لا يمكن وجود شيء من ذلك لصالح ولا لساحر ولا لأحد غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.⁵³

والقول الراجح في هذه المسألة ان التحدي شرط للمعجزة لئلا يختلط رسل الله تعالى بهؤلاء الذين يدعونها كذبا، ولا يلزم التصريح بها اذا كان هناك قرينة كان يطلب منه الاتيان بالمعجزة فيأتي بها فهذا يكفي.

4.2. أسماء بعض الذين زعموا النبوة أو اعترض على النبوة

1.4.2. أسماء بعض الذين ادعوا النبوة

إن الذين ادعوا النبوة من غير الأنبياء أشخاص قليلون وإن وجدنا لهم من يتبعهم في بداية الأمر لكن نرى سرعان ما ذهب تابعوهم واندثروا، فنذكر بعضهم لنؤكد أن القرآن الكريم مستمر في تحديه وكل من أراد معارضته باءت محاولاته بالفشل فمنهم: مسيلمة بن حبيب الكذاب، يحكي لنا الرافعي في كتابه إعجاز القرآن من أقوال مسيلمة: "ومن قرأه الذي زعمه قوله: والمُبذرات زرعاً والحاصدات حصداً والذاريات قمحاً

⁵² أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت. 505 هـ)، الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 / 1424 هـ - 2004 م، ص107.

⁵³ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت. 456 هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2/5.

والطاحنات طحناً، والعاجنات عجنأ والخابزات خبزأ والشاردات ثردأ⁵⁴ وأصبح كلامه فيما بعد سخرية بين الناس يسخرون منه، فمثلاً نجد الجاحظ في كتابه الحيوان عندما يصل الى ذكر الضفدع يقول في مسيلمة: "ولا أدري ما هيّج مسيلمة على ذكرها ولم ساء رأيه فيها حيث جعل بزعمه فيما نزل عليه من قرآنه: يا ضفدع كم تنقّين نصفك في الماء ونصفك في الطين لا الماء تكذّرين ولا الشارب تمنعين"⁵⁵ ومنهم الأسود العنسي وكان رجلاً فصيحاً معروفاً بالكهانة، ادعى النبوة على عهد النبي ﷺ ولم يكن له كتاب لأنه كان عالماً بالأشعار فصيحاً حتى لا يفتضح أمره، لكنه كان يزعم أن الوحي ينزل عليه وإذا أراد أن يتظاهر بالتنبؤ جلس وحنى رأسه بعدها يرفع رأسه ويقول: يقول لي كيت وكيت يعني شيطانه وكان ظالماً وقتل قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بيوم وليلة كما ذكر الرافعي⁵⁶ وهذا أوضح دليل للذي لا علم له بالعربية وفنونها ليعلم تحدي القرآن وصدقه من أمر هذا الرجل فإنه يجرؤ أن يكذب على الله تعالى ويدعي النبوة ولا يجرؤ الاعتراض على القرآن مع فصاحته وعلمه بالعربية وفنونها لأنه يعلم سوف يفشل لو اعترض على القرآن. ومنهم طليحة بن خويلد الأسدي وهو من شجعان العرب كما يقول عنه الرافعي⁵⁷ أتى إلى النبي ﷺ مع وفد أسد بن خزيمة عام تسع للهجرة فأسلموا ثم لما رجعوا ادعى طليحة النبوة وشاع صيته بعد أن توفي رسول الله ﷺ أصبح يدعي أن ذا النون يأتيه بالوحي ولم يكن له كتاب لأن قومه من الفصحاء وتابعوه من أجل القبلية وان لا يخذلوا من قبل القبائل الأخرى وإنما كانت كلمات يزعم أنها أنزلت عليه واستخلصت بعضها من كلامه في كتاب معجم البلدان حين يذكر ياقوت قصة توبته ومناظرته لعمر رضي الله عنه وتأنيب عمر على قتله لعكاشة وافترائه على الله فقال: إن عكاشة سعد بي وأنا شقيت به وأنا أستغفر الله... ثم قال: يا أمير المؤمنين ذلك من فتن الكفر الذي هدمه الإسلام كله فلا تعنيف عليّ ببعضه فسكت عمر عندها وهذا ما عثرت عليه من هذه القصة " إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم

⁵⁴ الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 121.

⁵⁵ الجاحظ، كتاب الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ 2، 1424هـ، 5/ 280.

⁵⁶ الرافعي، إعجاز القرآن، ص: 123.

⁵⁷ المصدر السابق، ص: 124.

وقبح أدياركم شيئاً، فاذكروا الله قياماً فإن الرغوة فوق الصريح"⁵⁸ والقصة طويلة لا حاجة لنا بذكرها، لكن المقصود هو الكلمات التي عارض بها القرآن وهي واضحة الركافة لا من ناحية القافية فقط بل من جميع الجوانب البلاغية والمعنى. وسجاح بنت الحارث بن سويد التميمية وهي من بني تغلب عالمة في النصرانية وزعمت النبوة بعد وفاة رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر، فتابعها بعض قومها ومال إليها بعض رؤساء القبائل وهي تقول له: إنما أنا امرأة شأني شأن النساء لا أدعي الملك وإن كان ملك فالملك ملككم وقد أردت بهم غزو أبي بكر رضي الله عنه وخرجت على بعض القبائل تقاتلهم عندما قوي مسيلمة الكذاب وكثر تابعوه، خافت منه فعزمت الخروج عليه وخافها مسيلمة ثم اجتمعا وطلب منها أن يتزوجها وقال لها: " ليأكل بقومي وقومك قبائل العرب" فرضيت وذهبت إلى قومها فقالوا لها: ما الجديد لديك قالت: هو على الحق فاتبعته فتزوجته ولم تزعم كتاباً ولكنها ادعت أنه يوحى إليها بما تأمر وتسجع، ثم أسلمت وتابت بعدها وحسن إسلامها.

2.4.2. أسماء بعض الذين ادعوا معارضة القرآن

النضر بن الحارث: فصنع نظماً من أخبار الفرس وملوك العجم وخاب أمله لأنه جاء بأشياء يجهلها العرب ولا أحد صدقه. ومنهم ابن المقفع: يقول الناس عنه أنه قام بمعارضة القرآن مدة طويلة ثم لم يعجبه ما كتب واستحيا أن يظهره، يقول الماوردي عنه: " اجتاز يوماً بصبي يقرأ في مكتب: " وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"⁵⁹ فرجع ومحا ما عمل وقال: أشهد أن هذا لا يعارض أبداً وما هو من كلام البشر وكان فصيح أهل عصره"⁶⁰ مما سبق تبين لنا أن القرآن تحدى الناس منذ أربعة عشر قرناً ولم نسمع أن أحداً أتى حتى بمثل سورة واحدة منه فثبت أنه كلام الله.

⁵⁸ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي، (ت. 626 هـ)، معجم البلدان، بيروت، ط/ 2، 1995م، 408/1.

⁵⁹ هود، 44/11.

⁶⁰ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، (ت. 450 هـ)، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 33-30/1.

الفصل الثالث

3. وجوه التحدي عند المتكلمين

وجوه التحدي بالقرآن الكريم كثيرة، فمنها ما يختص بالعرب من بلاغة القرآن وجمالية نظمه وتناسق جملته ومعانيه وفصاحته وكل ما له علاقة باللغة ومنها ما يخص العرب وغيرهم كالإخبار عن الغيبات الماضية والتي كانت في حياة النبي ﷺ وعن أمور لم تحدث ولكن أخبر أنها تحدث في المستقبل وما فيه من الأحكام والقوانين المحكمة ويعبر عنه بعض العلماء بالمجال التشريعي التي لها الدور الكبير في تنظيم شؤون الناس فيما بينهم سواء على مستوى الفرد والأسرة أو على مستوى الدول والمجتمعات وتنظيم علاقاتها حتى مع البيئة والمخلوقات الأخرى وما نراه من تأييد العلم الحديث وتأكيد ما قرره القرآن الكريم من الأمور العلمية. وقد ألف العلماء كتباً كثيرة في وجوه التحدي فمنهم من ذكر وجهاً واحداً ومنهم من ذكر أكثر من وجه وكل مجموعة من العلماء اختص بذكر الوجوه التي من اختصاصه، فبعضهم بضبط لغاته ومتشابهه ومتماثله وهؤلاء القراء ومنهم من اختص بذكر المعرب والمبني من الأسماء والأفعال وأوسعوا الكلام في النحو والصرف وهؤلاء النحاة واعتنى بعضهم في معاني ألفاظه وهم المفسرون وهكذا كل طائفة اعتنت بذكر وجه ما هي بارعة فيه من الفنون وقد ذكر السيوطي في كتابه معترك الأقران خمسة وثلاثين وجهاً وقال فيه: " أفرد علماؤنا رضي الله عنهم بتصنيف إعجاز القرآن وخاضوا في وجوه إعجازه كثيراً منهم الخطابي والرماني والزمكاني والإمام الرازي وابن سراقه والقاضي أبوبكر الباقلاني وأنهى بعضهم وجوه إعجازه إلى ثمانين"⁶¹ ويقول القاضي عبد الجبار: " واعلم أن القرآن حجة من ثلاثة أوجه: فكل سورة منه حجة من طريق الفصاحة والبلاغة، وهو حجة لما فيه من الأخبار بالغيوب، وهو حجة لما فيه من التنبيه على دلائل العقول، فإن

⁶¹ جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت. 911 هـ)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ 1، 1988م، ص 5.

ذلك جاء على طريقة انتقضت به العادة"⁶² وسأذكر في هذا الفصل ثلاثة وجوه من وجوه القرآن الكريم لدراساتها وتحليلها دراسة علمية.

1.3. نظرية الصرفة

ظهرت نظرية الصرفة عندما توسعت البلاد الإسلامية واستقرت ودخل في الإسلام كثير من علماء الديانات الأخرى مثل الهندوس وعلماء الفلسفة من السريان والصابئة واليهود وغيرهم حيث بقيت أفكارهم و معتقداتهم في أذهانهم وترجموها الى العربية وأول من اشتهر بهذه النظرية النظام (ت. 221هـ) من المعتزلة وإن كانت هذه النظرية موجودة في الديانات الأخرى. وإن كثيرا من العلماء عندما أسلموا ترجموا هذه الأفكار المطبوعة في أذهانهم الى العربية، تأثر بعض المسلمين بأفكارهم، ثم إن بعض علماء المسلمين تأثروا بهذه الكتب ومن المعلوم أن كل من يؤمن بوجود الله تعالى، يعلم أن علم الله وقدرته تفوق علم مخلوقاته بأضعاف كثيرة. وأن علم الله محيط بكل شيء، لذلك نرى أن كلمات القرآن جميلة ومتناسقة ولطيفة على السمع بحيث لو غيرت جملة أو بدلت كلمة بنظائرها أو زدت أو أنقصت حرفا لما جاءت بتلك الجمالية المثالية التي عليها الآن، كونها واضحة الدلالة سهلة التلفظ بها لا يمل سامعها بعكس كلام البشر لكثرة المشاغل والنسيان التي تطرأ على الإنسان ومعلوم أن العالم مهما بلغ في الفصاحة لم يكن محيطا بكل المعاني حتى إن الفصيح تراه يضع شعرا أو خطبة يستفرغ فيها كل جهده في نظمها بل في بعض الأحيان يستعين بأقرانه وبعدها لا يزال ينقحها طول حياته كلما رأى كلمة أجمل بدلها بها ومع كل ذلك فإنها لا ترضي كاتبها، لهذا السبب جاء نظم القرآن في أعلى درجات الفصاحة والبيان. يتبين لنا مما سبق أن الله تعالى لم يسلب القدرة من أحد وإنما قدرة الله الخالق فوق قدرة المخلوق. أما القائلين بالصرفة فلأسباب، فبعضهم قال بها لأنه أضطر لئلا يتناقض مع آراءه الأخرى كبعض المعتزلة لأنهم يقولون بخلق القرآن لأنه إذا كان مخلوقا كيف يكون معجزا وأما البعض الآخر جعله وجها من وجوهه ولم يجعله الوجه المتحدى به. ثم إن القائلين بالصرفة

⁶² القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الأسدي، (ت. 415 هـ)، تثبت دلائل النبوة، دار المصطفى شبرا، القاهرة، 1/ 86.

اختلفوا في تحديد معنى الصرفة، فقسم فسرهما بأن الله تعالى منع منهم القدرة أي سلب علومهم فكلما هموا لمعارضته نسوا كل ما يحتاجونه من العلوم. وقسم منهم فسرهما بأن الله تعالى صرفهم عن المعارضة ابتداء ومع شدة احتياجهم للمعارضة إلا أن الله تعالى جعلهم لا يفكرون بالمعارضة أصلاً ولو تعرضوا لكان بمقدورهم أن يأتوا بمثله على قولهم. وإن ظهور مثل هذه الآراء كان السبب الرئيسي لاهتمام الناس بعلوم العربية والبلاغة وأدت إلى تأليف الكتب في إعجاز القرآن وسنفضل قليلاً في آراء القائلين بالصرفة وآراء مخالفهم لنصل إلى نتيجة مرضية في هذا الموضوع.

1.1.3. الصرفة في اللغة:

صرفه بمعنى بعده عندما تبعد شخص ما تقول صرفته ويقول ابن منظور " الصرف: رد الشيء عن وجهه، صرفه يصرفه صرفاً فانصرف... والصرف: فضل درهم على الدرهم والدينار على الدينار لأن كل واحد منهما يصرف عن قيمة صاحبه

63

2.1.3. الصرفة في الاصطلاح:

وتعني أن الله صرف هم العرب عن معارضة القرآن وكانت في مقدورهم لكن عاقبهم عنها أمر خارجي فصار معجزة كسائر المعجزات وهذا عند القائلين بالصرفة: 64

3.1.3. المقصود بالصرفة عند القائلين بها

والمقصود بالصرفة عند القائلين بها أحد هذه الأمور:

⁶³ ابن منظور محمد بن مكرم بن علي جمال الدين الأنصاري (ت. 711 هـ)، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط/ 3، 1414 هـ، 9/ 189-191.

وانظر محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي، (ت. 1205 هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، 12/ 24.

⁶⁴ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 2/ 93-94.

المعنى الاول: صرف الهمم والدواعي عن الاعتراض، فكلما أرادوا الاعتراض وجدوا مانعا يمنعهم من الاعتراض وليس ذلك لعدم إمكانيتهم بل الظروف كانت مناسبة لكنهم صاروا ممنوعين من ذلك لصارف صرفهم وهو الله تعالى. وكأنهم يريدون معارضته لشدة حاجتهم اليه لكنهم ينشغلون بأمور أخرى لوجود المانع الإلهي ولو انعدم المانع لأتوا بمثله. المعنى الثاني: إن الله سبحانه وتعالى سلبهم ما يحتاجون إليه من العلوم والمعارف وكانوا قبل ذلك بإمكانهم الإتيان بمثله لكن الله سلبهم تلك الملكة. المعنى الثالث: إن الله تعالى لم يسلبهم الإمكانات والدواعي ولكن منعهم قهرا. فإنهم مع كونهم قادرين على ذلك بما لديهم من الملكة والذوق السليم لا يمكنهم فعل ذلك.

4.1.3. القائلون بالصرفة

1.4.1.3. القائلون بالصرفة من المعتزلة:

معنى الصرفة عند النظام ومن تابعه.

إن أول من أظهر القول بالصرفة من المعتزلة النظام⁶⁵ أحد كبار مشايخهم وكان ذلك سبب رد العلماء عليه، كما رد عليه الجاحظ مع انه كان أحد تلامذته، فالنظام يقول وجه التحدي هو أن الله تعالى منعهم جبرا ولم يكن ذلك لبلاغة القرآن وحسن نظمه لأن العرب لو لم يمنعوا ويصرفوا لأتوا بكلام فصيح بليغ مشابه للقرآن. ويرد السيوطي على هذا الرأي ويستدل على فساده بقوله تعالى: " قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا"⁶⁶ كيف يكون التحدي بسلب القدرة وإن معنى الآية تدل على خلاف ما يقولون. يقول السيوطي: " فكيف يكون معجزا وليس فيه صفة إعجاز"⁶⁷ فكلام النظام ومن وافقه يوحي بأن العرب كانت لهم القدرة على أن يأتوا بمثله لكن منعهم الله تعالى عن ذلك قهرا. والاجابة على ذلك أن العرب لو كانوا قادرين على ذلك لوجب أن يكون بعضا

⁶⁵ ابراهيم بن سيار بن هانئ النظام البصري (ت. 221).

⁶⁶ الإسراء، 88/17.

⁶⁷ جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، 4/ 7-8.

من خطبهم التي كانوا يتباهون بها قبل نزول القرآن أن يماثل القرآن ولو بسورة قصيرة ولم نجد شيئاً من ذلك. لذلك نجد الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن يقارن بين القرآن وبين أبلغ ما وصل إلينا من كلام البلغاء قبل نزول الوحي ويستدل بهذه المقارنة على بطلان القول بالصرفة.

عند الجاحظ والرماني ومن تابعهما:

ومعنى الصرفة عندهما يختلف عن مفهومه عند النظام. ومعناه عندهما لا يتعارض مع إعجاز القرآن ويقولان إن الذي في القرآن الكريم خارج عن طاقة الناس وقدرتهم. فهو نوع من العناية الإلهية لحفظ القرآن الكريم من أيادي الخائنين والمحرفين الذين يوسوسون في قلوب الضعفاء ليبعدوهم عن الطريق الصحيح. وقد صرفهم عن معارضته لا لأنهم قادرون على الإتيان بمثله كما يقول النظام ولكن ليحفظ المؤمنين من عبث الأعداء وأوهمهم، لأنه لو حدثت المعارضة وإن كانت بعيدة كل البعد عن الفصاحة لاشتبه ذلك على النساء والجهال وأمثالهم واحتاجوا إلى من يفرق لهم بين المعجز وغير المعجز. كما قال الجاحظ: "لألقى ذلك للمسلمين عملاً ولطلبوا المحاكمة والتراخي ببعض العرب ولكثر القيل والقال"⁶⁸. ويقول الرماني: "وأما الصرفة فهي صرف الهمم عن المعارضة وعلى ذلك كان يعتمد بعض أهل العلم"⁶⁹ فهو يقول بالصرفة ولكن لا يجعله الوجه الوحيد للتحدي فهناك أوجه أخرى غيرها.

عند القاضي عبد الجبار:

القاضي عبد الجبار يخالف فيه كل من سبقه من القائلين بالصرفة. وهو يرى أن تفسير النظام والجاحظ والرماني يؤدي بهم إلى الجبر لأن معناه عندهم: أنها خارجة عن إرادتهم ورد عليهم بالأدلة منها: لو كان العرب ممنوعين من تأليف الكلام البليغ لحصل ذلك في جميع كلامهم لكن الواقع يحكي لنا خلاف ذلك حيث استمروا في تأليف الأشعار البليغة والنثر البديع ولم ينزل مستواهم الأدائي وإنما كان مع بلاغته وعلوه

⁶⁸ الجاحظ ، كتاب الحيوان ، 4 / 305.

⁶⁹ الرماني أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله ، (ت. 384 هـ) ، النكت في إعجاز القرآن ، مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق: محمد خلف الله ، محمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر ، ط / 3 ، 1976م ، ص 110.

وفصاحته كان لا يصل الى مستوى القرآن الكريم ولا يدانيه. أي أنهم استمروا في صناعة الشعر حتى بعد نزول القرآن ولم نسمع أحدا يقول ضعفت قواهم ومستوياتهم بعد نزول القرآن. ولو ثبت المنع كما يقولون لكان نفس المنع معجزا وليس القرآن فيلزم القائلين بهذا القول أن لا يجعلوا للقرآن أي فضيلة إطلاقا. ثم يقول لو ثبت المنع بأي نوع من الأنواع التي قالوا بها يلزمهم أن يبطلوا بعض القرآن ويلزمهم أن يخطئوا قول الله تعالى: " قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا"⁷⁰ وكذلك فإن قولهم بالصرفه على تفسيرهم يتعارض مع قوله تعالى في الآية التي سبقت لأنه إذا امتنع على جماعة الإنس والجن شيء لا يمكن القول بأن بعضهم يكون معاوننا لبعض وذلك ان المعاونة إنما تكون مع الاستطاعة لا مع العجز أو المنع. وبعد أن رد على من سبقه قرر تفسير الصرفه حسب اجتهاده ونظره وهو ان الصرفه متعلقة بأنفسهم ولم يكن قد فرض عليهم وإنما هو كالذي حاول كثيرا وكل محاولاته باءت بالفشل، فإذا به ينهار عزمه وتتكاسل همته ويخيب أمله فأيس بعد أن تيقن عدم قدرته فصرف همته عن هذا الأمر. فالصرفه عند القاضي عبد الجبار هي ترك المعارضة لعلمهم بعدم قدرتهم أن يأتوا بمثل جمالية القرآن لأنهم كانوا أصحاب ذوق وعلم، فتركوا الانشغال بمعارضته بعد أن اقتنعوا وأيقنوا بالعجز. يقول القاضي عبد الجبار: "وأما ترك العرب معارضة القرآن وعدولهم عنه الى المقاتلة فظاهر أيضا، فإنهم حين أحسوا من أنفسهم العجز عن الإتيان بمثل القرآن تركوا إلى المقاتلة وذلك يؤذن بعجزهم عن ذلك"⁷¹. فالصفة عند القاضي عبد الجبار لا تعنى الجبر والقهر.

2.4.1.3. القائلون بالصرفه من الشيعة.

القائلون بالصرفه من الشيعة منهم الشريف المرتضى، فإنه قد فسر لها بأن الله تعالى سلبهم ما يحتاجونه من العلوم لمعارضة القرآن الكريم. وقال بها كذلك ابن سنان

⁷⁰ الإسراء، 88/17.

⁷¹ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، مكتبة وهبة، ط/ 3، 1996م، ص 588.

الخفاجي حيث يقول: " ولا فرق بين القرآن وبين فصيح الكلام المختار في هذه القضية"⁷².

3.4.1.3. القائلون بالصرفة من السنة.

ابن حزم الأندلسي فهو يقول: " لم يقل أحد من أهل الإسلام أن كلام غير الله تعالى معجز لكن لما قاله الله تعالى _ أي القرآن الكريم _ وجعله كلاماً له صيره معجزاً ومنع من مماثلته وهذا برهان كاف لا يحتاج إلى غيره"⁷³ ويقول الراغب الأصفهاني: " وأي إعجاز أعظم من أن تكون كافة البلغاء مخيرة في الظاهر أن يعارضوه ومجبرة في الباطن عن ذلك"⁷⁴ فالراغب الأصفهاني يرى أن الإعجاز بالنظم والصرفة معا. ويذكر الماوردي في مقدمة تفسيره اختلاف العلماء على ثمانية أوجه ومن ضمنها القول بالصرفة دون أن يرجح أيها منها . ومن العلماء من اتخذ الصرفة لمجابهة الخصوم على سبيل التنزل بما لدى خصومهم من الأدلة، فإننا نرى بعض علماء الكلام يقولون بالصرفة ولكن لا يعتبرونه الوجه المتحدى به لكن يعتبرونه وجهاً من وجوه الأعجاز أو على سبيل التنزل فيقول الإيجي: " أما الصرفة فنقول بأن الإعجاز ليس بها ولكن ندعيها أو كون القرآن معجزاً وأياً ما كان يحصل المطلوب"⁷⁵ . فكان هدفهم إثبات الإعجاز للقرآن الكريم فيستدلون بهذه الأدلة على سبيل المنازلة لإثبات إعجاز القرآن الكريم. ويقول ابن الجوزي: " إنما يُصْرَفون عن الشيء بتغيير طباعهم عند نزوله أن يقدرُوا على مثله. فهو هنا يذكر قولهم لا أنه مقتنع به "⁷⁶ وإن الملاحظ من أقوال أكثر العلماء لا يتعرضون لإنكار الصرفة جملة وتفصيلاً، لأن كلمة الصرفة

⁷² ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الحلبي، (ت. 466هـ)، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، ط/ 1، 1402هـ، 1982م، ص 99.

⁷³ ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 3/ 11-12.

⁷⁴ الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت. 502 هـ)، تفسير الراغب الأصفهاني، المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، ط/ 1، 1420هـ، 1999 م، 1/ 46-44.

⁷⁵ الإيجي، المواقف، 3/ 384.

⁷⁶ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ت. 597 هـ)، الوفا بتعريف فضائل المصطفى، دار المعرفة، 195 /1.

تحمل معان كثيرة، لكنهم ينكرون مفهوم الصرفة بمعناها الدال على نفي الإعجاز من القرآن الكريم.

ردود العلماء على القائلين بالصرفة

لقد رد الإيجي على القائلين بالصرفة بأدلة منها أجمع العلماء قبل ظهور هذه النظرية على أن القرآن معجز وإن القول بها يسلب الإعجاز من القرآن. ولو كانت بالصرفة لانتشر ذلك ولم نسمع شيئاً من هذا. ولو كان كذلك لزمهم أن يأتوا بكلام فصيح مشابه له قبل زمن التحدي ولم نر شيئاً من ذلك. ولو كان كما يزعمون كان ينبغي أن يتعجبوا من المانع الذي منعهم وليس من جمالية نظمه ولانتشر هذا الخبر ولم نسمع شيئاً من ذلك بل على العكس من ذلك نرى الوليد بن المغيرة يتعجب ويندهش عندما يسمع كلمات القرآن " عن ابن عباس: أن الوليد بن المغيرة اجتمع هو ونفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم، أي موسم الحج فقال: إن وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بصاحبكم هذا. فأجمعوا فيه رأياً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ويرد قول بعضكم بعضاً. قالوا: أنت فقل وأقم لنا رأياً نقول به، قال: بل أنتم فقولوا أسمع فقالوا: نقول كاهن، فقال: ما هو بكاهن لقد رأيت الكهان فما هو بزممة الكاهن وسحره، فقالوا: نقول مجنون، فقال: ما هو بمجنون ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته، فقالوا: نقول شاعر قال: ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر قالوا: نقول ساحر قال: ما هو بساحر قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفته ولا عقده، قالوا: فما تقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله حلاوة وإن أصله لمغدق وإن فرعه لمثمر فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل وإن أقرب القول أن تقولوا ساحر. فقولوا هو ساحر يفرق بين المرء وزوجه فتفرقوا عنه بذلك.⁷⁷

⁷⁷ الجوزي، الوفا بتعريف فضائل المصطفى، ص 193.

ويرد القاضي عبد الجبار على النظام بقوله: " لو كان العرب ممنوعين من تأليف الكلام البليغ لحصل ذلك في جميع كلامهم، لكن الواقع يحكي لنا خلاف ذلك حيث استمروا في تأليف الأشعار البليغة والنثر البديع ولم ينزل مستواهم الأدائي وإنما كان مع بلاغته وعلوه وفصاحته كان لا يصل الى مستوى القرآن الكريم ولا يدانيه. أي أنهم استمروا في صناعة الشعر حتى بعد نزول القرآن ولم نسمع أحدا يقول ضعفت قواهم ومستوياتهم بعد نزول القرآن. ولو ثبت المنع كما يقولون لكان نفس المنع معجزا وليس القرآن فيلزم القائلين بهذا القول أن لا يجعلوا للقرآن أي فضيلة إطلاقا. ولو ثبت المنع بأي نوع من الأنواع التي قالوا بها يلزمهم أن يبطلوا بعض القرآن ويلزمهم أن يخطئوا قول الله تعالى: " قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا"⁷⁸. لأنه إذا امتنع على جماعة الإنس والجن شيء لا يمكن القول بأن بعضهم يكون معاوننا لبعض وذلك ان المعاونة إنما تكون مع الاستطاعة لا مع العجز أو المنع. ويرد الجرجاني على أصحاب الصرفة إنهم لو كانوا كمن أعدم شيئا كانوا مطيقين له كان ينبغي أن يتعجبوا من ذلك المنع.

وخلاصة ما وصلت إليه في مسألة الصرفة أن القائلين بالصرفة سواء من المعتزلة أو من السنة أو الشيعة فهم قلة قليلة وكانوا محل أنظار الناس وتتوالى الردود عليهم من تابعيهم ومخالفهم وإن جميع الأدلة لا تساعد على ذلك سواء التاريخية أو العقلية أو النظرية وذلك للأسباب التالية:

إن الإجماع منعقد على إضافة التحدي للقرآن الكريم قبل ظهور هذه النظرية فكيف يكون متحديا وقد سلب منه صفة التحدي لأن التحدي لم يقع بالمنع وإلا لذكر ذلك صراحة في القرآن الكريم.

إنهم لو سلبوا القدرة لعلموا ذلك من أنفسهم ولتناطقوا بها وانتشر هذا الخبر ولم نسمع شيئا من هذا القبيل.

إنهم لو كانوا ممنوعين من تأليف الكلام البليغ لحصل ذلك في جميع كلامهم، لكن الواقع يحكي لنا خلاف ذلك حيث استمروا في تأليف الأشعار البليغة والنثر البديع فلم ينزل مستواهم عما كانوا عليه قبل زمن التحدي.

إنهم لو كانوا ممنوعين كما يقولون وان لهم القدرة لو لم يمنعوا لكان لهم أن يعارضوه بما وقع منهم من مثله الصادر منهم قبل ذلك لأن الله تحداهم بالإتيان والإتيان بما عندهم قبل زمن التحدي أمر لا جهد فيه.

لو ثبت المنع كما يقولون لاستلزم أن يكون المنع معجزا لا القرآن ولو ثبت المنع بأي نوع من الأنواع التي قالوا بها يلزمهم أن يبطلوا بعض القرآن لأن ذلك يلزمهم أن يخطئوا قول الله تعالى: " قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا"⁷⁹ لأنه إذا امتنع على جماعة الإنس والجن شيء لا يمكن القول بأن بعضهم يكون معاوننا لبعض وذلك ان المعاونة إنما تكون مع الاستطاعة لا مع العجز أو المنع. لو كان المنع معجزا لذكر ذلك في القرآن صراحة وكان التحدي بالمنع وليس بالقرآن الكريم. وإن القول بالصرفه يلزم زوال التحدي بوفاء الرسول لأنها تكون شبيهة بالمعجزات الحسية.

وأخيرا إن نظرية الصرفه لو اعتبرناها وجها من وجوه التحدي لكانت شبيهة بالمعجزات الحسية لا العقلية فتكون شبيهة لمنع إحراق النار لسيدنا إبراهيم (عليه السلام) ولكانت آية ودليلا، لكن عند النظر الى الواقع نرى أن الأدلة وكتب التاريخ لا تؤيد ولا تساعد على إثبات هذه النظرية، فلم نجد دليلا يثبت بانهم صرفوا بأي نوع من أنواع المنع السابقة الذكر، بل على العكس من ذلك نجد في كتب التاريخ أن رؤساء القوم وكبارهم كانوا منبهرين ومعجبين كل العجب من جمالية القرآن وفصاحته ولم يمكنهم إخفاء ذلك لأقرانهم واعترفوا بألسنتهم ولكنهم أخفوا ذلك من تابعيهم حسدا وعنادا وتشبثا بالسلطة وخوفا من أن يتركوهم ويلتحقوا بهذا النبي المرسل إليهم صلى الله عليه وسلم ومع ذلك لا مانع من اعتباره دليلا بوجه المخالفين على سبيل المنازلة

والدفاع عن القرآن وإبعاد شبهات الملحدين عنه. وقد بذلت جهدا كبيرا في جمع أقوال العلماء وعزوها إلى أصحابها من مصادرها الأصلية وقد واجهت خلال عملي هذا متاعب كثيرة والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

2.3. ومن وجوه التحدي الأخبار الغيبية

إن أحد هذه الوجوه التي أجمع العلماء على وجودها في القرآن الكريم الأمور الغيبية ولم يختلفوا أيضا في كونها آية وبرهانا لصدق الرسول ﷺ إلا إنهم اختلفوا في كونها آية تحدي بها أم لم يتحد بها وذلك إن في القرآن الكريم ذكر لكثير من الأمور الغيبية منها ما كان في الماضي ومنها ما أخبر أنها ستحدث في المستقبل وكان كما وعد فمناها ما حدث في زمن الرسول ﷺ ومنها ما وقع فيما بعد وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم أميا وأمه أمية ولا تعرف تاريخ الأمم الفاتنة ونجد في القرآن الكريم الحديث عن الأقوام السابقة، يتبين لنا أن هذا القرآن هو كلام الله تعالى الذي يعرف كل شيء عن مخلوقاته. فمن خلال إظهار هذه الغيبيات للناس بين لهم أن هذا القرآن هو من كلامه وليس من كلام البشر. وسأذكر في هذا المبحث آراء الفريقين وسأناقشها دراسة علمية لنصل إلى الرأي الراجح في المسألة، ثم أتبعها بذكر بعض الأمثلة الواردة في القرآن الكريم.

1.2.3. آراء العلماء في الأمور الغيبية ومناقشتها:

فعند النظام أن التحدي وقع بالصرفة وبالأمور الغيبية، فإعجاز القرآن عنده كائن في الأخبار الغيبية، لذلك نرى البغدادي يرد عليه بشدة ويعتبر ذلك عنادا منه.⁸⁰ أما الرماني من المعتزلة فقد ذكرها مع الوجوه الأخرى وهي عنده سبعة وجوه، ومن خلال تتبع كتابه النكت في إعجاز القرآن تبين لي أنه يجعله أحد وجوهه ولكن لم يقع به التحدي لأنه صرف أكثر جهده في كتابه هذا على الوجه البياني وإن لم يصرح أن

⁸⁰ الاسفراييني، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، (ت. 429 هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط/ 2، 1977، ص 128. وانظر الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم أحمد (ت. 548 هـ)، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، ص 57.

التحدي وقع بنظمه⁸¹ فإننا نفهم ذلك من خلال كتابه النكت في علوم القرآن بأن التحدي وقع بالوجه البياني أو البلاغي، لأنه يفصل كثيرا في البلاغة، حتى إنه يذكر الوجوه الستة الأخرى صفحات قليلة مقارنة بالوجه البياني، مما يظهر أنه جعلها براهين على صدق النبي ﷺ وعلى صدق القرآن إلا إنه لم يقع التحدي بها. و يرد الخطابي على القائلين بها ويعتبرها أحد وجوه الإعجاز ولكن لم يقع به التحدي لعدم وجودها في جميع السور. وعند الباقلاني أن التحدي وقع بثلاثة أوجه أحدها الأخبار الواردة عن الأقوام السابقة والثانية ما أنبأ من غيب المستقبل مع أمية الرسول وثالثها النظم البديع والبلاغة المتناهية، إلا أنه بعدها يشير إلى أن الذي عليه أكثر العلماء في الوجه المتحدى به هو الوجه الثالث، وعند القاضي عبد الجبار أيضا وقع بثلاثة جوانب من ناحية الفصاحة ومن ناحية الأخبار الغيبية ومن ناحية التنبيه على دلائل العقول أما القاضي عياض فهو يذكرها ضمن أربعة أوجه التي أجمع العلماء على وجودها في القرآن الكريم، ولم يصرح هل كونها تحدي بها أم لم يتحد بها. أما القرطبي فيقول بكل صراحة أن التحدي وقع بثلاثة أوجه ولم يذكر من بينها الأمور الغيبية وإنما ذكرها مع السبعة الباقية التي لم يقع التحدي بها، حيث جعلها آية من آياته ولكن لم يقع التحدي بها. وكذلك فإن مالك بن الحجاج عمر يقول بعدم وقوع التحدي بالأمور الغيبية⁸².

وبعد استعراض الآراء وبعد البحث والمطالعة تبين لي أن موقف العلماء تجاه هذا الوجه الأمور الغيبية على ثلاثة مذاهب: فمنهم من جعله الوجه المخصوص بالتحدي كالنظام من المعتزلة ومن العلماء من صرح بأنه غير متحدى به وإن كانت آية تدل على نبوته، كالخطابي والبغدادى والقرطبي وغيرهم من العلماء، ومن العلماء من جعله ضمن مجموعة من الوجوه الدالة على صدق النبوة ولم يتعرض لمسألة التحدي، هل تحدي بالأمور الغيبية أم لا فمن هؤلاء القاضي عياض يذكرها ضمن أربعة أوجه

⁸¹ أبو الحسن الرماني، علي بن عيسى بن علي (ت. 384 هـ)، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، دار المعارف، ط/ 3، 1976م. ص 110.

⁸² مالك بن الحجاج عمر بن الخضر بن نبي، (ت. 1393 هـ)، الظاهرة القرآنية، تحقيق: إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر دمشق، ط/ 4، 1420 هـ - 2000م، 1/ 28.

فهو لم يرجح رأيا على آخر وكالباقلائي الذي جعله ضمن ثلاثة وجوه متفق عليها دون أن يتطرق لمسألة التحدي وأكثر العلماء المعاصرين ينقلون الآراء بدون ترجيح.

وبعد النظر والتدقيق في أقوال العلماء ظهر لي أن الأخبار الغيبية الواردة في القرآن الكريم سواء كان عن الأمم السابقة أو عن غيب المستقبل بلا شك إنها آيات وبراهين على صدق النبوة والرسالة وأن القرآن الكريم هو من عند الله وليس بكلام بشر. ولا يمكن لأحد من البشر أن يأتي بمثل هذه الآيات ولكن لم يقع به التحدي وذلك للأمور الآتية:

إن الأخبار الغيبية ليست موجودة في كل سور القرآن، فلو قلنا أن التحدي وقع بالأخبار الغيبية لحدث تناقض في المسألة حيث كيف يمكن طلب الإتيان بالأخبار الغيبية من مثل سورة ليس فيها أخبار غيبية، النتيجة لا بد أن يكون الوجه المتحدى به غير الأخبار الغيبية.

الأمر الآخر هو أن التحدي يجب أن يكون بمثل ما يتقنه الخصم ومعلوم أن الأخبار الغيبية لم تكن من قدرة أهل مكة الأميين وليس لهم علم بأخبار الأمم السالفة إلا الشيء اليسير الذي أخذوه من أحبار اليهود.

وكذلك إن وجه التحدي يجب أن يصل إلى حد لا لبس فيه لأن ما يوجد في الكتب السابقة من الأخبار والقصص يمكن أن يقال إنها مشابهاة لما في القرآن، حينها يلزم أن تكون التوراة متحدى بها أيضا ولم يقل بذلك أحد فثبت أن هذا الوجه لم يتحد به.

2.2.3. بعض الأمثلة على الأخبار الغيبية الواردة في القرآن الكريم

الإخبار بغلبة الروم على الفرس

قال تعالى: " الم، غلبت الروم، في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون، في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون، بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم" ⁸³.

ان هذه الآيات التي في سورة الروم مكية بلا خلاف ⁸⁴ عندما نزلت هذه السورة كان حال المسلمين ضعيفا جدا من الناحية المادية والمعنوية، حيث كانوا قلة قليلة أغلبها من الإماء والعبيد المستضعفين وكان القوي فيهم من يمكنه الفرار بدينه من ظلم المشركين تاركا خلفه كل شيء فكانوا يؤذون المسلمين بشتى الطرق وإذا بالخبر ينتشر بين أهل مكة بالحرب الدائرة بين الفرس والروم. وأن الغلبة كانت للفرس ففرح المشركون فرحا كبيرا وأصبحوا يستهزؤون بالمسلمين ويسخرون منهم لأن المسلمين والروم كانوا يؤمنون بكتاب سماوي، في حين أن أهل مكة والفرس كانوا مشركين وقد حلت بالمؤمنين من الأسى ما ضاعف من آلامهم التي كانت تنالهم على أيدي المشركين من التعذيب الجسدي وجرح مشاعرهم من الشتمات والسخرية وغير ذلك من أنواع التعذيب النفسي. وفي هذه الأثناء يأتي المدد من الله تعالى بإنزال هذه الآيات تنفيسا وتسلية وترويحاً لما يجدونه من الضيق في صدورهم مما يلاقونه من المجرمين إنها بشرى للمؤمنين. ففرح المسلمون فرحا شديدا وانشرحت صدورهم لوعده الله وحينما رأى المشركون فرح المسلمين تبادوا في سخريتهم أكثر لأنهم وجدوا فرصتهم على حسب زعمهم للنيل من دعوة النبي محمد ﷺ إنها سنوات معدودة، ماذا لو لم تقع حرب بين الفرس والروم، أيجد بعد هذا من يسمع له أو إن أحدا يصدقه وقد انتشر خبر نزول هذه الآيات في الجزيرة العربية، كان هذا الخبر آية عظيمة وبرهانا للناس جميعا حيث أكثر المشركون على المسلمين بالشتمات تارة وبالاستهزاء تارة أخرى حتى وصل الأمر إلى الرهان بين المسلمين والمشركين على وقوع هذه الغلبة للروم على الفرس أو

⁸³ الروم، 5-1/30.

⁸⁴ عبد الكريم يونس الخطيب، (ت. 1390 هـ)، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي القاهرة، 472/11.

عدم وقوعها ويذكر الزمخشري هذه القصة وأنا أذكر قسما منها وذلك عندما نزلت الآية " قال لهم أبو بكر رضى الله عنه: لا يقر الله أعينكم فو الله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبى بن خلف. كذبت يا أبا فصيل، اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه- والمناحية المراهنة- فنأحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلنا الأجل ثلاث سنين، فأخبر أبو بكر رضى الله عنه رسول الله ﷺ فقال: البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر وماده في الأجل. فجعلناها مائة قلوصل إلى تسع سنين. ومات أبى من جرح رسول الله وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين. فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبى وجاء به إلى رسول الله ﷺ فقال: تصدق به. وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وأن القرآن من عند الله لأنها انباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله".⁸⁵

هذه الآية اشتملت على ثلاثة أخبار غيبية وقد وقعت كما ذكرها القرآن الكريم وهي كما يأتي: الإخبار بغلبة الروم على الفرس والإخبار بأن في هذا اليوم يكون فرح للمؤمنين وقد وافق هذا اليوم يوم بدر، حيث انتصر فيه المسلمون على المشركين. والإخبار بالمكان الذي سيهزم فيه الفرس. إن الآية والبرهان في هذه الآيات يظهر في إخبار الله تعالى بأمر سيحصل بعد سنين محدودة وهو غلبة الروم على الفرس وقد وقع كما أخبر في المدة التي حددها وهي بضع سنين والبضع في اللغة ما بين الثلاثة إلى العشرة⁸⁶. يقول الخطيب: " وهذه صحف التاريخ التي سجلت هذه الأحداث في وقتها لا تزال بين يدي أهلها الذين ليس لهم مصلحة في أن يقيموا تاريخهم على ما يطابق أخبار القرآن ويجيء مصدقا له"⁸⁷. ومن المؤكد في كتب التاريخ أن المعركة التي حدثت بين الروم والفرس، كانت في سنة 614 ميلادية ونزول الآيات كانت في حوالي سنة 615

⁸⁵ الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت. 538 هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي - بيروت، ط/ 3، 1407 هـ، 3/ 466-467.

⁸⁶ الرازي أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، (ت. 395 هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399 هـ - 1979 م، 257/1. وانظر ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت. 458 هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، المحقق: عبد الحميد هندائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1421 هـ - 2000 م، 419/1، وانظر ابن منظور، لسان العرب، 8/15، ومرتضى الربيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت. 1205 هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، 20/ 332،
⁸⁷ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج 11، ص 479.

ميلادية وبعد أن انتصر المسلمون في هذه المعركة وفي هذه الأجواء المبشرة والمسلمون راجعون إلى المدينة فرحين بنصرهم ومعهم الغنائم وإذا ببشارة أخرى تطرق أسماعهم يأتيهم الخبر بغلبة الروم على الفرس واستيلائها على كثير من مدن فارس وأقاليمها تأكيداً لما وعدوا به أي في يوم غلبة الروم على الفرس يفرح المسلمون بانتصارهم على المشركين الذين كانوا يسخرون منهم ويؤذونهم بأنواع العذاب وأخرجوهم من ديارهم. واعتبر المفسرون هذا الوعد من الإعجاز الغيبي وهي آية وبرهان على صدق النبوة وكون القرآن الكريم من عند الله علام الغيوب⁸⁸. أما بالنسبة إلى أدنى الأرض قال بعض المفسرين إنها في الأردن وفلسطين كما جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما⁸⁹. والظاهر من أقوال العلماء إنهم اعتمدوا في تفسير أدنى في الآية بمعنى القرب ولها معنى آخر في اللغة حيث تأتي بمعنى أخفض كما يؤيده اكتشافات علم الجغرافيا في عصرنا وبعد النظر في أقوال العلماء ومقارنتها بكتب التاريخ تبين أن مكان المعركة كان في فلسطين في منطقة البحر الميت وذلك للأمور الآتية:

أن الروم و الفرس التقوا أكثر من معركة لكن المعركة الفاصلة التي زعزعت إمبراطورية الروم وهدمتها كانت في حوض البحر الميت على ما في كتب التاريخ والتفسير وهو الذي قال به ابن عباس وحددها بأنها كانت بين الأردن وفلسطين وتسمى الآن بالأغوار التي يقع فيها البحر الميت. ويؤيده المعنى اللغوي الآخر لكلمة (أدنى) أي أخفض، حيث قررت حقيقة علمية لم تكن معلومة في ذلك الوقت حيث أشار إلى أن الروم خسرت المعركة في منطقة هي أخفض نقطة سجلتها الأقمار الصناعية على اليابسة، حيث تنخفض حوالي 400 متر عن مستوى سطح البحر، أما نهاية قعر البحر

⁸⁸ أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت. 982 هـ) تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، 49/7، والبيضاوي أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت. 685 هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1418 هـ، 201/4، ومحمد متولي الشعراوي (ت. 1418 هـ)، الخواطر، مطابع أخبار اليوم، 1997 م، 11305/18، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 44/21.

⁸⁹ أبو السعود العمادي، تفسير أبي السعود، 49/7. وانظر السمرقندي أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم، بحر العلوم، دار الفكر - بيروت، تحقيق: محمود مطرجي، 3/3. وانظر الزمخشري، تفسير الكشاف، 466/3.

فتنخفض حوالي 800 متر تحت سطح البحر⁹⁰. وهذا إعجاز آخر يضاف إلى البشارتين السابقتين غلبة الروم على الفرس وانتصار المسلمين على المشركين ألا وهو الإشارة إلى أخفض بقعة على اليابسة من مستوى سطح البحر.

الإخبار بموت أبي لهب كافرا

قال تعالى: " تبت يدا أبي لهب وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب، سيصلى نارا ذات لهب، وامرأته حمالة الحطب، في جيدها حبل من مسد"⁹¹.

سبب نزول هذه السورة قيل لما نزلت: (وأنذر عشيرتك القربين)⁹² اعتلى النبي ﷺ على الصفا ونادى وا صاحبا فاجتمع الناس حوله، فقال النبي ﷺ: أمرني ربي أن أنذركم وأدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله فقولوا أشهد لكم بها عند ربي، فأنكروا هذا الأمر، فقال أبو لهب تبا لك سائر الأيام ألهذا دعوتنا، فنزلت سورة المسد وأبو لهب هو عم النبي ﷺ اسمه عبد العزى بن عبد المطلب كنيته أبو عتبة كان يؤذي رسول الله كثيرا ينتقص منه ويبغضه.⁹³ في هذه السورة دليل ظاهر على النبوة وآية جلية فأخبر أنهما يموتان على الكفر وبالفعل ماتا على الكفر ولو أنهما أسلما ولو نفاقا لأدى ذلك إلى التشكيك بصدق النبي ﷺ ولكن لأنه كلام علام الغيوب وليس بكلام بشر، تحقق ما وعد به بموت أبي لهب كافرا مستحقا للنار.

سورة الكوثر والأخبار الموجودة فيه

قال ابن عباس: نزلت في العاص بن وائل. وذلك أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش في المسجد جلوس، فلما دخل العاص قالوا له: من الذي كنت تحدث؟ قال: ذاك الأبتري يعني النبي صلوات الله وسلامه عليه وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله

⁹⁰ الموسوعة البريطانية البحر الميت، في الأنترنت.

⁹¹ سورة المسد، 1/111-5.

⁹² سورة الشعراء، 26/214.

⁹³ الأنصاري محمد بن أبي بكر بن عبد الله (ت. 645 هـ)، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، دار الرفاعي للنشر والطباعة/الرياض، ط 1/1983م، 44/2.

ابن رسول الله ﷺ وكان من خديجة وكانوا يسمون من ليس له ابن أبتَر فأنزل الله تعالى هذه السورة⁹⁴.

فهذه السورة مع قصرها احتوت خبرين فأخبر عن الكوثر وأخبر عن الوليد بن المغيرة وكان ذا مال وولد ثم أهلك الله ماله وولده وانقطع نسله⁹⁵.

عندما توفي عبدالله ابن النبي ﷺ انقطع بموته الذكور من ولده وكان العرب يصفون من ليس له ابن أبتَر وعندما علم بشماتة المشركين به بهذا اللقب تأذى بذلك، فنزلت هذه السورة مبينة لهم أن الأبتَر من انقطع خيره لا الذي انقطع الذكور من نسله، ثم سلى نبيه بأنه أعطاه الخير الكثير وأن الذي يبغضك هو الأبتَر وأن أمتك بمنزلة أبناءك فهم يذكرونك في كل مكان وزمان وأن نسله من بنته انتشروا في كل مكان لكثرتهم، عن ابن عباس قال: الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير: إن أناسا يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه⁹⁶ ثم إن الآية الثانية عبارة عن شكر الله تعالى مقابل هذه النعمة العظيمة وفي هذا الوقت العصيب وهو إرشاد إلى أفضل أنواع الشكر الصلاة لاشتماله على أركان الشكر وزيادة وهي بالقلب الاعتقاد أن هذه النعمة منه لا من غيره وباللسان أن نحمده وبالعَمَل أن نكون في خدمته مطيعين له. ثم قال تعالى: وانحر فيه إشارة إلى عظمة أمر الصدقة، أما فائدة اللام في قوله تعالى لربك إن المشركين كانوا يصلون وينحرون لغير الله رياء وإنما أشار إلى الإبل لأن الصلاة أشرف العبادات البدنية فقرن بها أشرف أنواع الأضاحي وفيه بشارة بحصول الدولة وزوال الفقر وأنتك ستتحر الإبل. وفي الآية الثالثة تولى الله سبحانه وتعالى جواب المشركين بنفسه وبعد أن بشره بالعطايا الكثيرة بشره بقهر أعداءه وأن الذي يبغضك هو أبتَر بسبب بغضه لك وأنه لا يقدر على شيء وبما أن عدوه وصفه بالذلة والقلّة ووصف نفسه بالقوة والكثرة

⁹⁴ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، النيسابوري (ت. 468 هـ)، أسباب نزول القرآن، دار الإصلاح – الدمام، ط/ 2، 1412 هـ - 1992 م، 466/1.

⁹⁵ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي (1348 هـ - ؟)، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، دار طوق النجاة، بيروت، ط 1، 1421 هـ - 2001 م، 1 المقدمة ص 12-153.

⁹⁶ عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، مختصر تفسير البغوي، دار السلام، الرياض، ط/ 1، 1416 هـ، ص 1034.

والدولة قلب الله الأمور وجعل العدو هو الضعيف والذليل والدنيء وأعطى القوة والكثرة والكوثر للنبي ﷺ.

3.3. ومن وجوه التحدي الجانب البياني

إن أهم وجوه القرآن الكريم هو الجانب البياني والذي يعبر عنه بعض العلماء بنظم القرآن أو الجانب البلاغي، لأنه في جوهره يرجع إلى نظمه وما يتعلق به من علوم البلاغة والفصاحة والبيان ومهما يكن فالاختلاف لفظي وذلك لأنها موجودة في جميع سور القرآن الكريم بخلاف غيرها من الوجوه حيث تظهر في بعض السور وتختفي في بعضها، فالجانب البياني هي السمة الظاهرة الموجودة في جميع السور والآيات وذلك إن ترتيب الكلمات في الجمل من جهة واختيار الكلمات وترتيبها من جهة أخرى هي التي أظهرت جمالية القرآن على النحو الذي نراه وكان العرب في حينها يدركون بلاغة القرآن بطبيعتهم، أما العرب الآن فلا يدركونها إلا بعد أن توضح لهم دقائقها أو يتعلموا العلوم التي بها يدركون بلاغته وفصاحته ولذلك نجد ان العرب في الجاهلية كان جل اهتمامهم باختيار الألفاظ والكلمات الخفيفة على السمع البعيدة عن التكلف ولهذا السبب أصبحوا سلاطين البلاغة والفصاحة وكانت القبائل تتباهى بشعراءهم وخطبائهم وكانت لهم مجالس لإلقاء أشعارهم وخطبهم وما أن سمعوا آيات الله تتلى عليهم، انبهروا وأعجبوا بمنتهى الفصاحة والبلاغة الموجودة في التعبير القرآني لأنها بلغت الغاية القصوى منها، يقول ابن عطية: " وكتاب الله لو نزعته منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد"⁹⁷ لذلك نجد أسياد قريش كانوا يحرصون على أن يحولوا بين العرب وسماع القرآن الكريم فكانوا في موسم الحج يترصدون لوفود الحجاج من أبواب المدينة يحذرونهم من سماع القرآن الذي جاء به محمد ﷺ وكانوا يقولون إنه سحر يفرق بين المرء وزوجه وبين المرء ووالديه وعشيرته. فالقرآن الكريم بأساليبه التي تفرد بها قد بين بكل وضوح أوامره ونواهيه

⁹⁷ ابن عطية أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (546 هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية - لبنان - 1413 هـ - 1993 م، ط1، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، 49/1.

وأهدافه السامية ليرشدنا إلى الأخلاق الحسنة الرفيعة فمرة بالترغيب وأخرى بالترهيب ملاحظا فيه واقع الإنسان وبشريته في كيفية مكافحة الجريمة ومعالجة الأمراض الخلقية ومع ما فيه من التنوع من القصص والتشريع وغير ذلك، فقد راعى مع ذلك كله الفصاحة والبلاغة ولم ينزل مستواه من كل ذلك يتبين لنا أن الذي وضعه مبدع عليم كيف لا يكون كذلك وهو رب العالمين وخالقه.

وآن الأوان لنذكر آراء العلماء في الوجه البياني وأنا أنقل أقوالهم أولا ثم بعده أعلق في نهاية المطاف عليها وإن القائلين بها اختلفوا على رأيين، منهم من قال بالنظم فقط ومنهم من قال بالنظم والمعنى وإليك آراءهم:

1.3.3. القائلون بالنظم فقط:

ذهب بعض العلماء إلى أن وجه التحدي بالقرآن الكريم هو نظمه دون المعنى ومن هؤلاء العلماء الجصاص حيث يقول عند تفسيره لقوله تعالى: " فاتوا بعشر سور مثله مفتريات"⁹⁸... فتحداهم بالنظم دون المعنى .. وأظهر عجزهم"⁹⁹ وهؤلاء يرون أن الوقوف على حقيقة المعنى المراد من ألفاظ القرآن وجمله فيه صعوبة وذلك لأن جمالية نظم القرآن لا يمكن وصفها والإحاطة بها وعندما نصغي لقول الطحاوي نجده يرد على هذا القول بشدة ويقول: " وإعجازه من جهة نظمه ومعناه لا من جهة أحدهما فقط".¹⁰⁰ لأن جمالية نظم القرآن الكريم وفصاحته تظهر في معناه وإن كان النظم آية على صدق الرسول ﷺ ودليلا على كلام الله تعالى إلا إنه لا يمكن أن يقال وقع التحدي بالنظم فقط لأن الآية والبرهان شيء والتحدي به شيء آخر.

⁹⁸ سورة هود، 11 / 13.

⁹⁹ أحمد بن علي أبوبكر الرازي الجصاص (ت. 370 هـ)، أحكام القرآن، تحقيق محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405 هـ، 1 / 33.

¹⁰⁰ ابن أبي العز الحنفي (ت. 792 هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط / 4، 1391، 1 / 179.

2.3.3. القائلون بالنظم والمعنى:

ذهب أكثر العلماء أن التحدي وقع بالنظم والمعنى، يقول ابن عاشور: " واما الذي عليه جمهرة اهل العلم والتحقيق واقتصر عليه أئمة الاشعرية وامام الحرمين وعليه الجاحظ وأهل العربية كما في المواقف فالتعليل لعجز المتحدين به بأنه بلوغ القران في درجات البلاغة والفصاحة مبلغا تعجز قدرة بلغاء العرب عن الإتيان بمثله و هو الذي نعتمده ونسير عليه في هذه المقدمة"¹⁰¹ و يذكر الرماني للقرآن الكريم سبعة أوجه ومن ضمنها البلاغة يقول الرماني: " إنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ. فأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن... وأعلى طبقات البلاغة معجز للعرب والعجم"¹⁰². ويقسم البلاغة إلى عشرة أقسام ثم يشرع في بيان أقسام البلاغة العشرة ومن خلال تفسيره للبلاغة يمكننا القول بأن البلاغة عنده بمعنى النظم عند غيره والمقصود من نظم القرآن هو اشتماله على الفصاحة والبلاغة وحسن المعنى وليس الخلاف إلا لفظي.

وقد تتبع الخطابي جميع الأوصاف الخارجة عن القرآن فلم يجد سببا صالحا به بلغ القرآن الكريم هذه الرتبة العليا غير نظمه، فيقول: " وقد استقرينا أوصافه الخارجة عنه وأسبابه النابتة منه، فلم نجد شيئا منها يثبت على النظر أو يستقيم في القياس ويطرد على المعايير فوجب أن يكون ذلك المعنى مطلوبا من ذاته.. والعلة فيه أن أجناس الكلام مختلفة.. ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية فمنها البليغ الرصين الجزل ومنها الفصيح القريب السهل ومنها الجائز الطلق الرسل وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود دون النوع الهجين المذموم الذي لا يوجد في القرآن شيء منه البتة"¹⁰³. فهو يبين كلام الخالق الذي بلغ أقصى الدرجات وأجملها وكذلك فإن اسلوب التقرير والزجر يختلف عن اسلوب التحبب والمؤانسة وأسلوب التخويف يختلف عن أسلوب الترجي وهكذا، فأسلوب التقرير لا بد له من كلمات قوية تفرع القلوب وترتجف

¹⁰¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 1/ 103-104.

¹⁰² الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص 75.

¹⁰³ الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص 26.

لها النفوس، أما أسلوب التأنيس والتبشير فلا بد له من الكلمات الرقيقة التي تتدفق بسهولة إلى القلب ولها عذوبة وحيوية فإنك حينما تسمع كلام الله تعالى وهو يحدثك عن أهوال يوم القيامة وعما يكون للمكذبين فإنك تجد الكلمات الجزلة القوية وحينما تسمع ما أعده الله تعالى للمؤمنين تجد الكلمات السلسلة العذبة وقد تجتمع معا وليس شيء أبلغ من آخر وإنما كل في مكانه بليغ وجميل هذا هو معنى كلام الخطابي. والخطابي من أوائل الذين قالوا بنظرية النظم وإن لم يصرح بها حيث يقول: " وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم¹⁰⁴. ويقول الباقلاني: " ذكر أصحابنا وغيرهم في ذلك ثلاثة أوجه من الإعجاز... والوجه الثالث: أنه بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه والذي أطلقه العلماء هو على هذه الجملة- ويقصد بالذي أطلقه العلماء إنهم خصوه بأنه الوجه المتحدى به- ثم يقول: فالذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز وجوه: منها ما يرجع إلى الجملة وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه وتباين مذاهبه - خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم... ومنها أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع والمعاني اللطيفة والفوائد الغزيرة والحكم الكثيرة والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة على هذا الطول وعلى هذا القدر... وقد حصل القرآن على كثرته وطوله متناسبا في الفصاحة¹⁰⁵. ويقول القاضي عبد الجبار وهو من أئمة المعتزلة وقد خصص الجزء السادس عشر من كتابه المغني لمسألة الإعجاز وما يتعلق به: " فمعنى قولنا في القرآن إنه معجز أن يتعذر على المتقدمين في الفصاحة فعل مثله في القدر الذي قد اختص به¹⁰⁶ و قد تحدث عن الفصاحة بقوله: " اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة ولا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواصفة التي تتناول الضم وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه وقد تكون

¹⁰⁴ المصدر السابق، ص 27.

¹⁰⁵ إعجاز القرآن للباقلاني ص 35-36.

¹⁰⁶ القاضي عبد الجبار، المغني، ج 16/226.

بالموقع وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع لأنه إما تعتبر فيه الكلمة أو حركاتها أو موقعها"¹⁰⁷ فكلامه هذا شرح للنظم فهو يرجح أن نظم القرآن هو الوجه المعتبر في مسألة التحدي. ومنهم الجرجاني بدأ عبد القاهر ببيان أهمية علم البيان ليخلص في نهاية المطاف إلى أن الكلام المقبول عند المخاطبين لا بد له من أركان ثلاثة اللفظ والمعنى والنظم فالنظم لا بد له من ترتيب المعاني في النفس ثم ترتيب الألفاظ في النطق ثم نجد الجرجاني وقبل أن يبدي برأيه في وجه الإعجاز، يورد ستة احتمالات على وجه الإعجاز ويرد عليها ويبطل جميعها ثم يأتي بالاحتمال السابع ليثبتته ويكشف عن رأيه ألا وهو النظم فمثلا يقول: " لا يجوز الإعجاز في الكلم المفردة.. ولا يجوز أن تكون في معاني الكلم المفردة"¹⁰⁸ فينفي أن يكون الإعجاز في الكلمات من حيث حروفها وينفي أن تكون في معاني الكلمات وينفي أن تكون في تركيب الحركات والسكنات لأنه نسب إلى مسيلمة الكذاب أنه قال كلاما على وزن سورة العاديات ولم يقل أحد من الناس أنه أتى بكلام بليغ أو أنه عارض القرآن بل ذممه وكذلك ينفي أن يكون في الفواصل والمقاطع ويعلل ذلك بأن هذا يعتمد على الوزن فقط وكثيرا ما كان الشعراء يعارض بعضهم بعضا في أشعارهم ويأتون بكلام جديد من نفس البحر أو القافية وهكذا ينفي أن تكون الخفة على اللسان الوجه المعتبر لأن في القرآن الكريم كلمات ثقيلة مثل كلمة أنلزمكموها وينكر أيضا أن تكون الاستعارة لعدم وجودها في جميع سور القرآن، ثم يقول: " لم يبق إلا أن يكون في النظم لأنه ليس بعدما أبطلنا أن يكون فيه إلا النظم"¹⁰⁹ وقد اشتهر بهذه النظرية فيما بعد. ويقول: الزمخشري بعد تفسيره لآية التحدي التي في سورة يونس: " يعنى أنه كتاب معجز من جهتين من جهة إعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب"¹¹⁰ فهو يرى أن إعجاز القرآن الكريم وقع بالوجهين معا وإن كان قد اهتم بالجانب البياني كثيرا حتى إن تفسيره فريد من نوعه في هذا الباب، لأنه حلل مواضيع البلاغة من خلال تفسيره هذا وتتبع آيات القرآن وسوره

¹⁰⁷ المصدر السابق 199/16.

¹⁰⁸ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 386.

¹⁰⁹ المصدر السابق، ص 391.

¹¹⁰ الزمخشري، الكشاف، 348/2.

وبين روائع البيان في نظمه الذي ميزه عن سائر الكلام. ويقول ابن جزي: الباب الحادي عشر: في إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند الله عز وجل ويدل على ذلك عشرة أوجه: الأول: فصاحته التي امتاز بها عن كلام المخلوقين. الثاني: نظمه العجيب وأسلوبه الغريب من قواطع آياته وفواصل كلماته.¹¹¹ ومن المعاصرين يذكر محمد الأمين عشرة أوجه لإعجاز القرآن الكريم إذ يقول: ووجوه إعجاز القرآن الكريم عشرة إلا إنه عندما يذكر الوجوه الثلاثة الأولى يذكر قول ابن الحصار القائل: وهذه الثلاثة من النظم والأسلوب والجزالة لازمة كلّ سورة بل هي لازمة كلّ آية وبمجموع هذه الثلاثة يتميّز مسموع كلّ آية وكلّ سورة عن سائر كلام البشر وبها وقع التحدي¹¹². ويقول الرازي في تفسيره: " واعلم أنه قد اجتمع في القرآن وجوه كثيرة تقتضي نقصان فصاحته ومع ذلك فإنه في الفصاحة بلغ النهاية التي لا غاية لها وراءها فدل ذلك على كونه معجزاً"¹¹³.

¹¹¹ ابن جزي أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الغرناطي (ت 741 هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، المحقق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط/ 1، 1416 هـ، 26/1.

¹¹² محمد الأمين العلوي، تفسير حدائق الروح والريحان، المقدمة ص 152.

¹¹³ فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي (ت. 606 هـ)، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/ 3، 1420 هـ، 347/2. سسسسس

الخاتمة واهم النتائج

ان التحدي وقع على مراحل وهذه المراحل كانت بالتدرج لأن ذلك ألزم للمعاندين لأن إنكارهم كان عنادا ولم يكن عن قناعة. أما القائلين بعدم التدرج في التحدي وأن التحدي وقع بالنوع لا بالمقدار، فالجواب على ذلك أقول لهم صحيح ان القرآن الكريم كله قليله وكثيره سواء في علو بلاغته وفصاحته، لكن خطاب القرآن الكريم لجميع مستويات الناس وليس مخصوص بالعلماء والبلغاء، لذلك تطلب التدرج في التحدي لسد جميع الأبواب بوجه شبهات المنكرين. ويثبت للضعفاء والجهال عجز بلغائهم وعلمائهم عن معارضة القرآن الكريم حتى يتيقنوا انه من عند الله تعالى وليس من كلام البشر.

ان اقل ما وقع به التحدي هو مقدار السورة بتمامها سواء كانت قصيرة او طويلة لا أقل من ذلك. لأنك اذا تتبععت آيات التحدي لم تجد أي اشارة الى ان التحدي وقع بأقل من السورة، ثم ان كثيرا من الآيات الطوال وان كانت أطول من السور القصار لكنها لا تعطي معنى تاما الا اذا الحقت بها قريناتها من الآيات، بخلاف السورة التامة وان كانت قصيرة فإنها تعطي معنى تاما وتفي بالغرض الذي من أجله سيق ذلك الكلام. أما استدلال القائلين بأن التحدي وقع بأقل من السورة بهذه الآية التي في سورة الطور "فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين" لا يصح لأن هذه الآية مجملة وليس فيها اشارة الى ما استدلوا به، بل على العكس فاني تتبععت أكثر التفاسير فرأيت كثيرا من العلماء استدلوا بها على ان التحدي وقع بجميع ما نزل من القرآن لا بأقل من السورة كما يقولون .

ان القول بالصرفه بأي معنى من المعاني التي قالوا بها سواء بمعنى ان الله منعهم قهرا. أو بمعنى ان الله سلبهم العلوم والمعارف التي بها يتمكنون من تأليف الكلام البليغ. أو بمعنى صرف الهمم والدواعي عن معارضة القرآن الكريم، كل هذه المعاني تتعارض مع مفهوم التحدي. لأنه لو كان التحدي بالصرفه كان ينبغي أن يوجد من كلامهم البليغ الذي ألفوه قبل زمن التحدي مشابها له في البلاغة والفصاحة ولكن لم نجد شيئا من ذلك. ثم انهم لو كانوا ممنوعين من تأليف الكلام البليغ لزم أن يحصل ذلك في

جميع كلامهم، لكن الواقع يحكي لنا خلاف ذلك حيث استمروا في تأليف الكلام البليغ ولم ينزل مستواهم الأدائي إلا انه مع علوه وبلاغته لا يصل الى مستوى القرآن الكريم ولا يدانيه. ثم ان بلغاء القوم وفصحاءهم لو دخل عليهم شيء من ذلك المنع لتناطقوا به. ولملئت بها كتب التاريخ ولنقلت إلينا ولم نجد شيئاً من هذا.

وان الاخبار الواردة في القرآن الكريم سواء التي تحدثت عن الامم السابقة أو التي تحدثت عن امور ستقع في المستقبل ووقعت كما اخبر بها فهي آيات تدل على صدق النبوة والرسالة، الا انها لم يقع بها التحدي وذلك لان التحدي وقع بطلب الاتيان بمثل اي سورة من القرآن الكريم. واذا تتبعنا القرآن الكريم نجد ان الاخبار الغيبية موجودة في بعض السور وليس في جميع السور. فإذا قلنا ان التحدي وقع بالأخبار الغيبية لزم ان يكون بعض السور لم يتحدى بها لعدم اشتمالها على الأخبار الغيبية ولا يمكن القول بهذا فالنتيجة اذن ان التحدي لم يقع بالأخبار الغيبية.

وبعد تتبع جميع سور القرآن الكريم تبين لي ان التحدي وقع بالوجه البلاغي لأنه الصفة الموجودة في جميع سور القرآن الكريم. ولأنه السمة التي كان أهل الجاهلية بارعين فيها. فتحداهم الله من جنس ما كانوا بارعين فيه وان التحدي وقع بالنظم والمعنى لا كما يقوله البعض ان التحدي وقع بالنظم فقط مستدلين بأنه لا يمكن الوقوف على حقيقة المعنى المراد. وأنا اخالف هذا الرأي وذلك لأن المعارضة بنفس الوزن والقافية امر سهل وكثير من شعراء الجاهلية كان يعارض بعضهم بعضاً فيأتون بنفس الأوزان والقوافي لكن كانت الغلبة لصاحب المعنى البليغ. ولأن جمالية النظم في معناه.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن الفرس الأندلسي، أبو محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم، (ت. 597هـ)، أحكام القرآن، تحقيق: طه بن علي أبو سريح، دار ابن حزم بيروت، 1427هـ، 2006م.
- ابن جزي، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل، اعتنى به: بدر بن ناصر بن صالح الجبر، دار ابن الجوزي، ط 1، 1431هـ.
- ابن عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، (ت. 1393هـ)، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، (د. ط)، 1997.
- ابن عطية أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، (ت. 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية، 1413هـ 1993م، ط 1، المحقق: عبد السلام عبد الشافي.
- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، (ت. 711هـ)، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط 1، 1414هـ.
- أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت. 982هـ)، تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت. 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون بيروت، ط 1، 1419هـ.
- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، (ت. 1394هـ)، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، (د. ط)، (د. ت).

- أحمد مختار عبد الحميد عمر، (ت. 1424هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط 1، 2008 م.
- الأزدي، أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، (ت. 321هـ)، **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1987م.
- الأزهرى ، محمد بن أحمد الهروي، (ت. 370هـ)، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 2001م.
- الاسفراييني، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، (ت. 429هـ)، **الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 2، 1977.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، (ت. 1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، 1415هـ.
- الأندلسي ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري، (ت. 456هـ)، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، مكتبة الخانجي القاهرة.
- الأندلسي أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري (ت. 487هـ)، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، عالم الكتب، بيروت، ط 3، 1403هـ.
- الأنصاري محمد بن أبي بكر بن عبد الله، (ت. 645هـ)، **الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة**، دار الرفاعي للنشر والطباعة/الرياض، ط 1/1983م.
- الإيجي عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت. 756 هـ)، **المواقف**، تحقيق عبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1997م.
- الباقلائي، أبوبكر محمد بن الطيب، (ت. 403هـ)، **إعجاز القرآن**، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف مصر، ط 5، 1997م.
- البركتي محمد عميم الإحسان المجددي (ت. 1395 هـ)، **التعريفات الفقهية**، دار الكتب العلمية، ط 1، 2003 م.

- التفزازاني، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله، (ت. 791هـ)، شرح المقاصد في علم الكلام، دار المعارف النعمانية، باكستان، (د. ط)، 1401هـ، 1981م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناشي الليثي، (ت. 255هـ)، رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د. ط)، 1384هـ - 1964م.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، (ت. 471هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط 3، 1413هـ - 1992م.
- جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت. 911هـ)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1988م.
- الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت. 597هـ)، الوفا بتعريف فضائل المصطفى، دار المعرفة، (د. ط)، (د. ت).
- الحسيني أبو الطيب، محمد صديق خان بن حسن بن علي، (ت. 1307هـ)، فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 1412هـ.
- الحموي شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (ت. 626هـ)، معجم البلدان، بيروت، ط 2، 1995م.
- الحميري نشوان بن سعيد اليميني (ت. 573هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1999م.
- الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (ت. 388هـ)، المحقق محمد خلف الله، بيان إعجاز القرآن، دار المعارف بمصر، ط 3، 1976م.
- الخطيب الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد، (ت. 977هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق الأميرية القاهرة، (د. ط)، 1285هـ.

- الخطيب عبد الكريم يونس (ت: بعد 1390هـ)، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي – القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- الخفاجي ابن سنان، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الحلبي، (ت. 466هـ)، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1402هـ، 1982م.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت: 502هـ)، تفسير الراغب الأصفهاني، المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، ط 1، 1420هـ.
- الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد، (ت. 1356هـ)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي بيروت، ط 8، 1425هـ.
- الرماني أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، (ت. 384هـ)، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغول سلام، دار المعارف، ط 3، 1976م.
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1422هـ.
- الزرقاني محمد عبد العظيم، (ت. 1367هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط 3، (د. ت).
- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، (ت. 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ثم صوّرته دار المعرفة بيروت، ط 1، 1376هـ، 1957م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت. 538هـ)، الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، 1407هـ.
- السرقسطي، قاسم بن ثابت بن حزم العوفي، (ت. 302هـ)، الدلائل في غريب الحديث، تحقيق: محمد بن عبد الله القناص، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1، 2001م.
- السمرقندي نصر بن محمد بن إبراهيم الفقيه الحنفي (ت. 373هـ)، بحر العلوم، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

- السمعاني أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي (ت. 489هـ) **تفسير القرآن**، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط 1، 1418هـ - 1997م.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم أحمد، (ت. 548 هـ)، **الملل والنحل**، مؤسسة الحلبي، (د. ط)، (د. ت).
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري (ت. 310 هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة، (د. ط) 1420هـ - 2000م.
- الطنطاوي محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، دار نهضة مصر، الفجالة القاهرة، ط 1، 1997م.
- عبد القادر بن ملاً حويش السيد محمود آل غازي العاني، (ت. 1398 هـ)، **بيان المعاني**، مطبعة الترقى دمشق، ط 1، 1382هـ، 1965م.
- فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، (ت. 606 هـ)، **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط 3، 1420هـ.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو، (ت. 170 هـ)، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د. ط)، (د. ت).
- القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، (ت. 415 هـ)، **المغني في أبواب التوحيد والعدل**، قوم نصه على نسختين خطيتين أمين الخولي، (د. ط)، (د. ت).
- القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، (ت. 415 هـ)، **شرح الأصول الخمسة**، مكتبة وهبة، ط 3، 1996م.

- القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمـد نكري، (ت. ق 12 هـ)، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون دستور العلماء، عرب عباراته الفارسية حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1421هـ.
- القاضي عياض بن موسى اليحصبي أبو الفضل، (ت. 544 هـ) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، (د. ط)، 1409هـ - 1988م.
- القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، (ت. 671 هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، 1423هـ، 2003 م .
- القلموني محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين الحسيني، (ت. 1354 هـ)، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ط)، 1990 م.
- مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي، (ت. 1393 هـ)، الظاهرة القرآنية، تحقيق: إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر دمشق، ط 4، 1420هـ - 2000م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، (ت. 450 هـ)، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- محمد بكر إسماعيل، (ت. 1426 هـ)، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط 2، 1999م.
- مرتضى الزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، (ت. 1205 هـ) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د. ط)، (د. ت).
- المهلبـي الحسن بن أحمد العزيزي (ت، 380 هـ)، المسالك والممالك، (د. ط)، (د. ت) .
- هاشم محمد علي بن حسين، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، دار طوق النجاة، بيروت، ط 1، 1421هـ - 2001 م.

- الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد النيسابوري، الشافعي (ت 468 هـ)،
أسباب نزول القرآن، عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح- الدمام، ط
2، 1412هـ - 1990م.



EKLER

Ek 1. Orijinallik Raporu



SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
YÜKSEK LİSANS TEZ ÇALIŞMASI ORJİNALLIK RAPORU

ÖĞRENCİ BİLGİLERİ	
Adı-Soyadı	Mohammed Sadeeq Jafeer Sedeeq
Öğrenci Numarası	152212112
Enstitü Anabilim Dalı	Sosyal Bilimler Enstitüsü
Programı	Temel İslam Bilimleri
Danışmanın Unvanı, Adı-Soyadı	Prof. Dr. Erkan YAR
Tez Başlığı (Türkçe)	et-Tehaddi bi'l-Kur'āni'l-Kerim

SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ MÜDÜRLÜĞÜ'NE

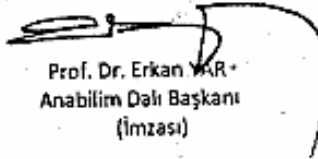
Yukarıda başlığı belirtilen tez çalışmamın a) Kapak sayfası, b) Giriş, c) Ana bölümler ve d) Sonuç kısımlarından oluşan toplam 199 sayfalık kısmına ilişkin, 02/10/2019 tarihinde şahsim/tez danışmanım tarafından Turnitin adlı intihal tespit programından aşağıda belirtilen filtrelemeler uygulanarak alınmış olan orijinallik raporuna göre, tezimin benzerlik oranı % 24'tür.

Uygulanan filtrelemeler:

- 1- Kabul/Onay ve Bildirim sayfaları hariç,
- 2- Kaynakça hariç
- 3- Alıntılar hariç/dâhil
- 4- 5 kelimeden daha az örtüşme içeren metin kısımları hariç

Yukarıda bilgileri verilen öğrencinin doktora tezi Sosyal Bilimler Enstitüsü Yönetim Kurulu tarafından belirlenen azami benzerlik oranlarını aşmadığını ve tez çalışmamın herhangi bir intihal içermediğini; aksinin tespit edileceği muhtemel durumda doğabilecek her türlü hukuki sorumluluğu kabul ettiğini ve yukarıda vermiş olduğum bilgilerin doğru olduğunu beyan ederim.
Gereğini saygılarımla arz ederim.


Mohammed Sadeeq Jafeer Sedeeq
Danışmanın Adı-Soyadı
(İmzası)


Prof. Dr. Erkan YAR
Anabilim Dalı Başkanı
(İmzası)

Lisansüstü tezler, savunma öncesinde intihal program raporu ile birlikte enstitüye teslim edilir.

Intihal raporu ile ilgili olarak etik kurallar dâhilindeki benzerlik oranları ilgili Enstitü Yönetim Kurulu tarafından belirlenir. (Enstitü Yönetim Kurulu tarafından tezin, intihal kapsamı dışında değerlendirilmesi için TURNITIN'den alınan raporda "benzerlik oranı"nın, "alıntılar hariç" en fazla %10, "alıntılar dâhil" % 30'u geçmemesi şeklinde kabul edilmiştir).

السيرة الذاتية

الاسم: محمد صديق جعفر صديق عبد الرحمن

تاريخ الولادة: 1977/11/1 العراق/ الانبار

المستوى العلمي: خريج كلية العلوم الاسلامية

عنوان السكن: العراق/ اربيل/ لانة ستي

متزوج وله أربعة أطفال

